(الفصل الثاني)

العلوم النظرية في العصر المقدوني

ويشمـل:

- الفلسفة والمنطق.
- اللاهـــــوت.
- التاريـــــخ.
- الجغرافـــيا.

obeikandi.com

(الفصل الثاني)

العلوم النظرية في العصر المقدوني

اهتم الأباطرة والعلماء في العصر المقدوني بألوان مختلفة من العلوم، تباينت ما بين علوم نظرية وتطبيقية، تفاوتت في أهميتها ولكنها درست وحظيت بالاهتمام في ذلك العصر.

وقد ذكر أحد المؤرخين المحدثين أننا إذا أردنا أن نفهم اهتمامات الشعب البيزنطي، فعلينا الاطلاع على اهتماماتهم العلمية والأدبية(٢٨٢).

العلوم النظرية(٢٨٣):

أولاً: الفلسفة:

تأتي في مقدمتها الفلسفة التي أولاها البيزنطيون عنايتهم، فهي واحدة من الفنون الحرة التي سادت في العصور الوسطى، وأعتبرها البعض تاج المعرفة(٢٨٤). وكان ينظر إليها على أنها رياضة فكرية بحته يجب أن تدور في فلك العقيدة المسيحية، بالإضافة الى أنها شاملة لجميع فروع المعرفة، ولها صلة كبيرة بفرعين من تلك الفروع وهما: الخطابة والقانون فكلا من الفلسفة والخطابة يعتمدان على بعضها البعض، وكذلك العلوم القانونية التي اعتمدت على الفلسفة في كل جوانبها ونقلت عنها مناهجها في التحقيق والبحث وربط الخاص بالعام(٢٨٥).

ولكن قبل الحديث عن الفلسفة في العصر المقدوني نستعرض آراء المؤرخين حول بداية الفلسفة البيزنطية.

---

(282) Nesbitt, Byzantine, p. 43.

سوف نلقي الضوء في هذا الفصل على العلوم وستناول الآداب والفنون في الفصل الرابع.

(٢٨٣) يندرج تحت العلوم النظرية (الفلسفة- المنطق- اللاهوت- التاريخ).

(284) Dennis, A rhetorician practices law, p.187.

عفاف صبره، الإمبراطوريتان، ص٢٦٤.

الفنون الحره: تنقسم الى مجموعتين مجموعة ثلاثية نحو_فلسفة_منطق، وأخرى رباعية هي حساب-فلك-هندسة-موسيقى.

Eyre, E. European civilization, oxford, 1939 p.258

Adamson, the legacy of the middle ages London, 1979 p.255

(285) Dennis, A rhetorician practices law pp.187-188.

Anastasi, R " sugli scritti giuridici di psello "

Siculorum Gymnasium, 1975 pp.169-191: pp.171-174

اختلف المؤرخون حول بداية الفلسفة البيزنطية، ففريق يرى أنها بدأت مع تأسيس القسطنطينية ومعنى ذلك أنها بدأت في القرن الرابع الميلادي، وفريق آخر يرى أنها بدأت في القرن السادس الميلادي، بعد صدور مرسوم جستنيان بإغلاق الأكاديمية في أثينا عام ٥٢٩م. مما يعتبر مؤشر يأذن بنهاية الفلسفة القديمة وبداية الفلسفة البيزنطية الحديثة.

أما أصحاب الرأي الثالث، فيرون أنها بدأت في القرنيين التاسع والعاشر الميلاديين الثالث والرابع الهجريين مستندين على زيادة النشاط الفلسفي في هذه الفترة(٢٨٦).

ويرى البحث أنه من الصعب وضع حد زمني فاصل بين نهاية فكر وبداية آخر، فهو ليس دولة خاضعة لتقسيمات حدودية بارزة أو تاريخ زمني فاصل بين سقوط دولة وقيام أخرى.

فالفكر نتاج خبرات سابقة وتطورات وإبداعات حديثة، لذا من الصعب وضع حد لنهاية الفلسفة القديمة وبداية أخرى جديدة، ولكن الأقرب للصحة هو أن الفلسفة شأنها شأن أي علم آخر مرت بفترات ازدهار في العصر اليوناني، ثم تعرضت للاضمحلال الذي أصاب بقية الدراسات للانشغال بالصراعات الخارجية والداخلية والدينية، ثم بدأت في النمو والازدهار بانتهاء الخلافات واستقرار الأمور.

وقد حظيت الدراسات الفلسفية بنصيب كبير من الدراسة والاهتمام باعتبارها سند وتدعيم للمسيحية في مقاومتها لأعدائها من الفلاسفة الوثنيين (٢٨٧)، وبدأ الاهتمام بها في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين/ الثالث والرابع الهجريين، حيث قرأت أعمال أفلاطون Plato وأرسطو Aristotle (٢٨٨)، واهتم كلا من: فوتيوس photious وأريثاس Aretha's بدراسة الأعمال الفلسفية القديمة والتعليق عليها، وابراز وجهات نظرهم الخاصة في مناقشة مختلف الموضوعات التي تناولها السابقون(٢٨٩).

فأقدم نسخة باقية لأفلاطون كتبت في نهاية القرن التاسع أو بداية القرن العاشر الميلادي، نسخها اريثاس(٢٩٠).

ووضح يوحنا ماوربوس John maiuropous أسقف يوخايتا Euchaita التشابه بين أخلاق

(286) Ierodiakonou, Byzantine philosophy, p.3.
(287) Browning Teatchers, p, 103, vasiliev, History, vol I:p:367.
(٢٨٨) رأفت عبد الحميد، ميخائيل بسللوس من خلال كتابة"التاريخ الزمني"ص٢٩٣
(289) Ierodiakonou, Byzantine, p.3.
(290) Browning, Teatchers, p.103. والنسخة محفوظة في مكتبة بودلين في اكسفورد Bodleian library in oxford, Browning, Teatchers, p103.

الفيلسوف الوثني افلاطون وبين المسيحي جريجوري النازيانزي Gregory nazainze[٢٩١].

وقد بلغ النشاط الفلسفي ذروته في عهد الإمبراطور قسطنطين التاسع الذي أنشأ مدرسة مستقلة للفلسفة في إطار جامعة القسطنطينية، وأسند رئاستها لبسللوس[٢٩٢] الذي كانت الفلسفة والجوانب النظرية للمعرفة هما الاهتمام الأول له، ويوضح لنا بسللوس أن العديد من الناس كانوا يحاولون الضغط عليه لكي يمارس الطب، بينما أراد آخرون أن يتحول إلى القانون إلا أنه أجابهم بأن إهتماماته الطبية تنحصر فقط في الجوانب النظرية لهذا العلم، بالإضافة إلى ذلك فهو لم يرد أن يشغل نفسه بالحالات الفردية، وكان يريد أن ينصب تركيزه على الفلسفة، وتمكن من تأسيس نواة التعليم البيزنطي لتلاميذه بإدخاله المراجع الفلسفية في محاضراته العامة[٢٩٣].

وفي هذا الصدد يتحدث بسللوس عن نفسه قائلا: " عندما كنت في الخامسة والعشرين من عمري انشغلت بالدراسات الجدية، وركزت جهودي على شيئين هما تدريب لساني على البلاغة كي أكون متحدثا لبقا وتهذيبه من خلال الفلسفة"[٢٩٤].

وجعل اهتمامه الأساسي بالأفلاطونية، لأنها تعد في رأيه الدليل الحقيقي لدراسة الميتافيزيقيا التي تعتبر قمة الدراسات الفلسفية التي لابد أن تقود بالضرورة في نهاية الأمر إلى المعرفة اللاهوتيه[٢٩٥]، وقد شغل نفسه وأصدقائه بالتوفيق بين الأفلاطونية ومتطلبات المجتمع الأرثوذكسي[٢٩٦].

وبذلك استعادت الأفلاطونية مكانتها بخطي واثقة على يد بسللوس الذي شرحها في محاضراته، وحاول بكل طاقاته أن يرسي دعائم الفكر الفلسفي الأفلاطوني أو الأفلاطونية الحديثة ساعيا في الوقت نفسه إلى تفسير محاورات أفلاطون بنفس الطريقة التي حاول بها شرح أسفار هوميروس، وكذلك نبؤات

---

(291) Gadolin, Atherry of history, p.71.

(292) psellus, chronographia, pp.13-14 vasiliev, History of Byzantine Empire, vol. I, p.367
Gadolin, ATheory of History, p.5

(293) Kaldellis, Hellenism, p.198 Dennis, Arbetorician practices law p.188

(294) psellus, chronographia, p.173.

(٢٩٥) رأفت عبد الحميد، ميخائيل بسللوس، ص٢٩٦

الميتافيزيقيا:(علم ما وراء الطبيعة) ذلك الفرع من الفلسفة معني بطبيعة وأصل المادة والعقل والتفاعل بينهما، وقد وضع أرسطو في هذا الموضوع كتاب وأسماه ما وراء الطبيعة، وقد شارك أفلاطون أرسطو في تأليفه.انظر البرت الريحاني، الموسوعة العربية، بيروت، دار الريحاني، ١٩٥٥م، ص٧٥٧.

(296)Cameron, The Byzantines, p.60.

ورؤى اللاهوت المسيحي[٢٩٧]ولكن الكنيسة كانت قلقه بشأن آرائه الأرثوذكسية[٢٩٨].

حيث ذكر:" انه وإن كان يتفق مع آباء الكنيسة الأول في بعض المسائل المتعلقة بقانون الإيمان، إلا أنه توصل بفكره إلى بعض الآراء المغايرة فيما يتعلق بالتجسد"

وقد أدى ذلك إلى اتهام بسللوس أحيانا بعدم قوة إيمانه وبعده في بعض الأمور عن العقيدة الأرثوذكسية، واتهم بالهرطقة، ولكنه نجح في التخلص من هذا الاتهام باعتراف سطحي بالأرثوذكسية قبلته منه الكنيسة[٢٩٩].

وفي الوقت الذي نجا فيه بسللوس من هذا الاتهام أدين يوحنا الايطالي john italos الذي كان أكثر تلاميذه حماسا، وناقش في كتاباته المشاكل الفلسفية على المسائل اللاهوتية الأمر الذي تسبب في اتهامه بالهرطقة، وحكم عليه عام ١٠٨٢م/٤٧٥هـ، وحرمت الكنيسة الأرثوذكسية تعاليمه التي ادعاها[٣٠٠].

وقد كان اتالوس/يوحنا الايطالي مختلفا عن أستاذه بسللوس، حيث أنه لم يعتمد على الفلاسفة اليونانيين، وكثيرا ما كان يوجه النقد لهم بدلا من أن يقرأهم كجزء من التعليم[٣٠١].

في الوقت الذي كان بسللوس يعتز فيه بالفلسفة اليونانية، ويرى أن الأمة اليونانية كانت من بين الأمم القديمة التي لديها حكمه مميزه[٣٠٢].

ومن العلوم التي حظيت بالاهتمام في العصر المقدوني:

---

(٢٩٧) رأفت عبد الحميد، ميخائيل بسللوس، ص٢٩٧

(298) Gadolin, ATheory of history, p.60.

(٢٩٩) رأفت عبد الحميد، ميخائيل بسللوس، ص٢٩٧–ص٢٩٨

(300) Krumbacher, the history of Byzantine literature, p 4.
Browning, Teatchers, pp.103-104

رأفت عبد الحميد، ميخائيل بسللوس، ص٢٩٨

يوحنا اتالوس أو الايطالي:ولد في جنوب ايطاليا من أب نورماني وأم يونانيه وكان تلميذ بسللوس، احترف المحاماة وكان من كبار موظفي الدولة واتهم بالهرطقة عام ١٠٨٢م/٤٧٥هـ

Browning, teachers, pp.103-104

نيكول، معجم التراجم، ص ١٧٦

(301) Gustave, E. Parallism convergence and influence in the Relations of Arab and Byzantine philosophy literature and piety in Islam and medieval Hellenism, London, 1976, pp91- 111, p, 94

(302) Kaldellis, Hellenism, p.197.

علم المنطق:

ظهر الاهتمام بدراسة المنطق كعلم مرتبط بدراسة الفلسفة وقيل أنه أحد أقسامها[٣٠٣].وكثيرا ما كان يشدد بسللوس على ضرورة دراسة المنطق لمن يدرس الفلسفة[٣٠٤].

كان المنطق محور اهتمام علماء الأسر المقدونية فاهتموا بأعمال أرسطو التي كانت باقيه في هذه الفترة وعلقوا عليها[٣٠٥]،

ونقلت الينا من خلالهم نظرية أفلاطون في المنطق والتي تتمثل في احتمالية تحقيق الحكمة الخالدة بواسطة معرفة الأعداد[٣٠٦]. كما علقوا على أعمال يوحنا الدمشقي Jone of Demascus [٣٠٧].

اهتموا بتدريس المنطق لتلاميذهم، فكثيرا ما ناقش فوتيوس تلاميذه في المسائل المنطقية[٣٠٨]. وخاصة الذين اهتموا بدراسة المنطق وأضافوا ملاحظاتهم على هوامش المخطوطات للمؤلفين القدماء، وكان من بينهم اريثاس الذي لا تزال بعض مخطوطاته محفوظه، وتحتوي على أربع وعشرين محاورة من محاورات أفلاطون، وتحتوي الأخرى على منطق أرسطو[٣٠٩].

في القرن الحادي عشر ميلادي/الخامس الهجري اهتم بسللوس أيضا بتدريس المنطق لطلابه، وكتب بعض المؤلفات مثل:scholia وله رسالة موجهه إلى صديقة يوحنا اكسفلينوس وضع له فيها خلاصة منطق أرسطو، ومن المحتمل أن يكون ذلك بناء على طلب اكسفلينوس، وكتب تعليقا على بعض فصول منطقية، وكتب عن علم التحليل الفلسفي[٣١٠]. وكانت له أطروحة قصيرة ربما للإمبراطور المستقبلي، وتلميذه السابق ميخائيل دوقاس (ميخائيل السابع) [٣١١].

(303) Ierodiakonou, Byzantine philosophy, pp.158-59, Gadolin, A theory of History, p71.
(304) Ierodiakonou, Byzantine philosophy, pp.158-59.
(305) Browning, Teachers, p.103.
(306) Gadolin, A theory of History, p.71.
(307) Ierodiakonou, Byzantine philosophy, pp.158-159.

يوحنا الدمشقي:مسيحي عربي ولد في دمشق، أستاذ الحركة اللاهوتية في الشرق وله العديد من المؤلفات في علم اللاهوت الفلسفة، المناظرات، التاريخ وأهم مؤلفاته كتاب ينبوع المعرفة الذي اعتمد عليه توما الأكويني فيما بعد.

Rosser, Historical dictionary, pp.220-221

عفاف صبره، الإمبراطوريتان، ص٢٦٨، ص٢٦٩.

(308) Edwin, A History of classical scholarship. p388.
(309) Cameron, the Byzantines, p.137.
(310) Ierodiakonou, Byzantine philosophy, pp.158.

وهناك قائمة عن أعمال بسللوس المنطقية سميت قائمة القرن السابع عشر حددت بواسطة ليو اوثيوس

See Ierodiakonou, Byzantine philosophy, pp.158.
(311) Ierodiakonou, Byzantine philosophy, pp.148-149.

وكان لبسللوس كتاب في المنطق عبارة عن تحليل كتاب "القياس المنطقي"لأرسطو، ويتحدث عن كل أقسام المنطق وعن علم الطبيعة، وأجزاء الأرض والسماء والأحياء والنباتات، وهي خطوات قبل الوصول إلى معرفة الأشياء الميتافيزيقيه(٣١٢).

مما يدل على أن الفيلسوف البيزنطي غالبا ما كان عالما مطلعا ومتعدد الثقافات، وهذا ما ساعد البعض على أن يلعب دورا نشطا في الحياة السياسية(٣١٣).

وحظيت الدراسات اللاهوتيه بمكانة كبيرة بين سائر العلوم، وذلك لمكانة الدين والعلوم المرتبطة به في نفوس الشعوب، وكذلك لاحتياج آباء الكنيسه لهذا العلم في المجالات التي حدثت أثناء الحركة اللا ايقونيه.

ثانياً: علم اللاهوت:

كان علم اللاهوت علما مميزا، وموضعا لاهتمام المعاصرين، درس في المدارس الرهبانية والأديرة، ودرسه القليل من الرجال العلمانيين(٣١٤). ولم يتأثر هذا العلم بفترة العقم الفكري التي مرت بها العلوم الأخرى، ولم يمر قرن دون أن يترك أثر جديدا على علم اللاهوت، وإن قلت هذه التأثيرات فيما بعد(٣١٥). واعتمد اللاهوت على ثلاثة مصادر أساسية: أولها من مزامير داوود، ثم الرسل الذين اختارهم السيد المسيح للتبشير بالمسيحية، وثالثها الإنجيل(٣١٦).

ميخائيل السابع:إمبراطور من ١٠٧١/١/١٠٧٨م، ٤٦٤-٤٧١ابن قنسطنطين العاشر Constantine X ١٠٥٩-١٠٦٧م ويودوكيا Eudokia كان تلميذا لميخائيل بسللوس بدأ عهده كإمبراطور علي الفور بعد معركة مانزيكرت وقد حدث اضطراب في الإقتصاد في عهده نتيجة لتخفيضه العمله، اندلعت ضده العديد من الثورات ونجحت ثورة برينوس Bryennios في إجباره على التقاعد إلرهباني

Rosser, Historical dictionary y, p.273.

(312) Lemerle, Le Gouvetnment, p.199.

(313) Krumbacher, the History of Byzantine literature, p.4.

(314) Krumbacher, the History of Byzantine literature, p.32Baynes, Byzantium, p.207.

(٣١٥) نسبة الى القديس آريوس في النصف الأول من القرن الرابعArians ومن هذه التأثيرات: التأثيرات الميلادي تأثر بها اللاهوت أحيانا ثم عزل نفسه عنها.وكذلك احتكاك البيزنطيين بالمسلمين ومذاهبهم المختلفة ترك أثر ضعيف على اللاهوت البيزنطي هجر فيما بعد.

Krumbacher, the History of Byzantine literature, p.29.
Lemerle, Le Gouvetnment, p.247.

وظل علم اللاهوت علما قائما بذاته تحت إشراف الكنيسة، لكنه كان علما شديد التعقيد[٣١٧]. وقد فتحت كنائس القسطنطينية أديرتها لتدريس هذا العلم، وزودت المشتغلين به بالكتب اللازمة للتعمق في دراسة سواء الدراسات اللاهوتية البحتة أم الدراسات التي تتعلق بالقداس[٣١٨]. وقام العلماء بدراسة المؤلفات اللاهوتية، وحللوا الأفكار الهللينية حول الروح بالمقابل شرحوا المعتقدات المسيحية في محاولة التوفيق بين الإثنين[٣١٩].

ومن أبرز علماء اللاهوت في العصر المقدوني العالم فوتيوس بطريرك القسطنطينية، الذي قام بتأليف رسائل وعظات دينية بما في ذلك رسالة مطولة بها عظات لاهوتية موجهة الى الملك بوريس البلغاري Boris of Bulgari. وخلال مدة نفيه الأولى قام فوتيوس بكتابة المزيد من الأعمال الدراسية معظمها تتضمن أجوبة لقضايا لاهوتية، وخلال فترة نفيه الأخيرة قام بكتابة بحث حول موكب الروح القدس[٣٢٠].

كما شملت مكتبته العديد من الأعمال اللاهوتيه، وأعمال آباء الكنيسة اليونانية[٣٢١]، فتناول الكتاب رقم مائتين واثنين وخمسين (٢٥٢) سيرة الأب جريجوري الكبير الذي ظهرت نسخته اللاتينية عام ٨٧٥م/٢٦٢هـ، وهي التي اعتمد عليها فوتيوس فيما بعد[٣٢٢]، كما تضمن العمل العديد من الأنظمة الكنسية الصعبة مثل: المجامع الدينية والمناظرات الدينية[٣٢٣].

وعارض فتيوس مذهب الكنيسة الغربية الذي يتلخص في "أن الروح القدس منبثقا من الإبن أيضا"

---

(٣١٧) رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص٢٨٤، نجلاء شيحة، مدينة القسطنطينية، ص١٧٨.

(318) Cameron, the Byzantines, p.147.

(319) Kaldelis, Hellenism, p.198.

(320)Treadgold, w. Ahistory of the Bayzantine state and Society, Standford, California, pp562-563.Browning, Byzantine Scholarship, p, 9.

(٣٢١) شعبان خليفة، الكتب، جـ٣، ١٠٢٢.

(322) Bollandiste, La Date de Compositi de Bibliotheque"de Photius Remis en Question in Eetudes d epigraphie grecque et d hagiographia Byzantine, London, 1973, pp.414-416p.414.

شعبان خليفة، الكتب، والمكتبات، جـ٢، ص٩٤٦.

جريجوري الكبير: بابا روما من عام ٥٩٠م حتى ٤-٦م، ولد في روما عام ٥٤٠م من عائلة ارستقراطية تولى الكرسي البابوي عام ٥٩٠م، ونجح في الحفاظ على استقلال البابوية وأرسل القديس اوغسطين الى انجلترا لتنظيم الكنيسة هناك

Kazhdan, ODB, vol II, pp.876-77

Rosser, Historical dictionary, p.179.

(323) Bollandiste, la Date de compistion, p.417, Browing, Byzantine scholarship, p.9.

فكتب مقالا بعنوان:De spiritu mystagogoia هاجم فيه هذا القانون بسبب إضافة "من الإبن أيضا" معلنا أن هذه الاضافة انحرافا عما اتفق عليه آباء الكنيسة الأولى في المجامع المسكونية (الدينية)، ومنافاة لنص الكتاب المقدس، وأوضح فوتيوس أن مثل هذه الإضافة تؤدي إلى الخلط بين طبيعتي الأب والابن، مما يبعث من جديد هرطقة أصحاب الطبيعة الواحدة التي أدينت من قبل.

وكان اللاتين يبررون تلك الإضافة بالاستشهاد بالعبارة التي وردت على لسان المسيح وهو يخاطب تلاميذه قائلا:"إن الروح انبثقت بواسطتي من الأب" والنص اللاتيني لهذه العبارة –أوضح فوتيوس– أنها ترجمة خاطئة للنص الأصلي الوارد باللغة اليونانية، ولما كانت اللاتينية لغة عاجزة فإن الأصل اليوناني للعبارة قد ترجم في اللغة اللاتينية إلى"spiritus de me accipiet، وهنا يسخر فوتيوس من العقلية اللاتينية التي فات عليها أن تترجم النص اليوناني ترجمة صحيحة إلى de meo بدلا من de me لأن الفرق بين الاثنين جد خطير فالأولى تعني"الروح القدس المنبثق بواسطتي من الأب" بينما تعني الثانية "الروح القدس المنبثق مني" وراح البطريرك البيزنطي يقول:" أن صغار التلاميذ لا شك يدركون الفرق بين العبارتين"، ومضى فوتيوس في كتابته فانتقد رجال الدين اللاتيين، لقبولهم هذا المذهب رغم تعارضه مع ماورد في الأنجيل(٣٢٤).

لم تقتصر إسهامات العلماء في علم اللاهوت على رجال الدين فحسب بل شاركهم الأباطرة أيضا.

فقد خط الإمبراطور ليو السادس Leo VI بقلمه عددا من القصائد في خدمة القداس الكنائسي، وعدد كبيرا من المواعظ والخطب التي كان يلقيها بنفسه في أعياد الكنيسة(٣٢٥).

وحاول حماية الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية عن طريق القضاء على المذاهب المعارضة لها، حيث تمكن من القضاء على حركة البيالصة paulicians الذين انكروا تعميد المسيح على يد يوحنا المعمدان، واتهموا الكنيسة الأرثوذكسية بأنها كنيسة شيطانيه.

وقاموا في عهد باسل الأول بالإغارة على المدن البيزنطية، فتصدى لهم الإمبراطور باسل الأول،

---

(٣٢٤) اسحاق عبيد، روما وبيزنطة، ص١٢–ص١٣.

يتضح من السياق أن فوتيوس والكنيسة البيزنطية يؤمنوا بأن"الروح القدس انبثقت من الأب فقط"هذا من وجهة نظرهم قال تعالى بسم الله الرحمن الرحيم" لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" صدق الله العظيم سورة المائدة آيه(٧٣).

(٣٢٥) محمود سعيد عمران، الإمبراطورية البيزنطية، ص١٤٥– ص١٤٦.

ودمر معقلهم بالكامل في تفريك، ثم دمر مدينتهم عام ٨٧٨م/٢٦٤هـ فهاجر بعض البيالصة إلى الأراضي الإسلامية، وطلب الآخرون العفو وفي عهد ليو السادس تحول زعيمهم إلى الأرثوذكسية[٣٢٦].

على الرغم من أهمية هذه الفرقة وظهورها على مسرح الأحداث في العصر المقدوني، إلا أنه لم يصل إلينا مؤلفات عنهم أو الردود عليهم.

ويمكن أن يعود ذلك إلى اندثار كتبهم في محاولات القضاء عليهم، وكذلك الرد عليها مثلما حدث في الحركة اللايقونية، وإن كان هذا لا ينفي تصدي الكنيسة ورجال الدين وعلماء اللاهوت لهذه النحلة، إما عن طريق كتاباتهم للرد عليهم ودحض آرائهم، أو من خلال تحريك الأباطرة وحثهم على القضاء عليهم.

وينطبق نفس الشئ على الحركة البوجومليـة أو بوجوميل Bogomils والتي تنسب إلى القس بوجوميل (المحب لله باللغة البلغارية) وظهرت في بلغاريا من بطرس الداعي لها (بوجوميل) وتهدف إلى معارضة الكنيسة، وتقضي هذه النحلة بأن العالم يسيطر علية مبدآن" مبدأ الخير ومبدأ الشر، ويمثل المبدأ الأول الله والثاني الشيطان، وما يقع بين القوتين من نزاع هو الذي يقرر كل مل يحدث على سطح الأرض، وسعوا مثلما فعل البيالصه إلى أن يسلكوا في حياتهم التقوى الروحية الخالصة والإمعان في التقشف والزهد وعلى الرغم من أنها اختلفت عن البيالصة من حيث عدم استعمال العنف لنشر أفكارهم[٣٢٧]، إلا أن واجهت محاولات من الأباطرة للقضاء عليهم حفاظا على العقيدة الأرثوذكسية، وحماية الكنيسة الشرقية.

وفي القرن الحادي عشر الميلادي/الخامس الهجري ترك لنا بسللوس رسائل في اللاهوت عرف فيها الواسطة بين العالم الفلسفي والله، وفي النهاية رأي أن الله سبب إيجاد كل شئ وهو صانع الطبيعة، وكان يبحث دائما عن الأسباب الطبيعية، بينما الاتجاه السائد بين الكتاب في بيزنطية كان ينسب كل شئ مباشرة

---

(٣٢٦) عن البيالصه ومحاولات القضاء عليهم انظر:

Genesios, on th Reigns, pp.106ff, lemerle, p. l'histoire des pauliciensd'asie mineure d'apes les sources grecques, paris, 1993

العريني، الدولة البيزنطية، ط١١٩٦٠، ص٢٩٤.

محمد زيدان، طبقة العامة، ص٢٧٠ وما بعدها.

(٣٢٧) العريني، الدولة البيزنطية، ط ١٩٦٠، ص٣٤٢- ص٣٤٣. محمد زيدان، طبقة العامة، ص٢٧٦- ص٢٧٩

على الرغم من عدم التوصل لمؤلفات لعلماء اللاهوت في العصر المقدوني للرد على هذه الهرطقات إلا أنه كان لزاما عدم إغفال هذه النحل التي كانت جزء من الخلافات الدينية والجدل اللاهوتي في هذه الفترة.

إلى الله، وكان مشروعة إخراج الله من العالم بقدر ما يعقل، وأراد أن يخلق مجالا للتحقيق العلمي المستقل ذاتيا مستندا على أفكار يونانية، ورفض الاتجاه المسيحي الشعبي الذي سخر من أي نوع من التعليم الذي لا يوصل إلى الله[٣٢٨]، وكان الزلزال هو الظاهرة الوجيدة التي ينسبها بسللوس إلى الله[٣٢٩]، ورفض الرهبنه المثالية، واقترح أن الرهبان في الحقيقة غير قادرين على ترك أجسادهم على الرغم من جهودهم وادعاءاتهم، معلقا على ذلك أن الحيتان لا تستطيع أن تسد جوعها إذا خرجت من المحيط، معتمدا في ذلك على تجربته الخاصة عندما دخل الدير[٣٣٠].

واعتبر أن الحياة الرهبانية مؤسسة معادية للبشرية، وصرح مرارا وتكرارا أن الأموال لم يقصد منها إيجاد أديرة للراهبات أو أن ينفق منها على نزوات الأباطرة، ولكن يجب الاحتفاظ بها لمكافأة الجنود الذين أريقت دماؤهم في سبيل الإمبراطورية[٣٣١].

وعلى الرغم من محاولات هؤلاء العلماء الارتقاء والإسهام في علم اللاهوت، إلا أن مجهوداتهم في هذا المجال لم تكن ناجحة، وذلك للاهتمام بالمواعظ الدينية عن المجادلات اللاهوتية وظل الأمر كذلك حتي عادت المجادلات اللاهوتية للحياة مرة أخرى في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي[٣٣٢].

---

(328) Dennis ARhetorician practices law p.189.

(329) Psellus chronographia, p.173.

(330) kaldellis, Hellenism, pp.203-213.Dennis, Arhetorician practices law, p.189.

(331) Psellus chronographia, pp.vll-v1

من خلال اراء بسللوس تتضح نظرته المعادية للأديرة البيزنطية يحتمل أن تكون هذه وجهة نظره بالفعل، ويحتمل أن يكون اراد تبرير تركه للحياة الديرية وعودته للحياة العلمانية مرة أخرى.

(332) krumbacher, the History of Byzantine litetature, pp.32-33.

على الرغم من القطيعة الدينية بين كنيسة روما اللاتينية وكنائس بيزنطية اليونانية أو الكنيسة الغربية والكنيسة الشرقية إلا أن تأثير اللاهوت البيزنطي قد وصل إلى الغرب اللاتيني كان واضحا في أعمال سكوت ايريجن الذي لم يترجم فقط لكبار اللاهوتيين القدامى أمثال ديونيسيوس آربيوج

ولكنه إستعمل أيضا maximus the confessor ، وماكسيموس المعترف Dionysius the

المفاهيم اللاهوتية والروحانية التي وجدها في مؤلفاتهم ونقلها إلى الغرب، كما اهتم أيضا بملاحظات يوحنا الدمشقي john of Damascus وعالم اللاهوت الأول بطرس اللمباردي peter if lombard

وظهر تأثير اللاهوت البيزنطي في أعمال توما الأكويني Thomas Aquinas

وإلى جانب اهتمام العلماء بعلم اللاهوت ظهرت العديد من المعتقدات الشعبية التي اعتنقها العامة والتي منها:

النبـؤات:

من الأمور التي شاعت في الإمبراطورية البيزنطية النبؤات، وقد ظهر العديد منها في العصر المقدوني.

ومن ذلك ماورد من أن والدة الإمبراطور باسل الأول تنبأت له عدة نبؤات منها: أن إبنها سوف يعتلي العرش، ويؤسس سلالة لمدة طويلة تقوم برفعة شأن موطنها (بلدتهم المحلية)، بالإضافة إلى أنها سمعت نبؤة من شخص آخر عندما وجده يلعب مع أصدقائه وطار على رأسه نسر وغطاه بأجنحته، فتنبأ أنه سوف يكون إمبراطور(٣٣٣).

ونسب للإمبراطور ليو السادس كتاب عن النبؤات احتوى على ألف ومائتي مسألة من المعارف العامة بين الشعب والحكماء يحتمل أن يكون سببا في الشهرة التي تمتع بها الإمبراطور كمؤلف وأسهم في بقاء أعماله الأصلية(٣٣٤).

وقد رودت عبارات في كتاب التاريخ لليو الشماس تتحدث عن التوقعات المخيفة لنهاية ألفية وبداية أخرى(يقصد نهاية القرن العاشر الميلادي/الرابع الهجري وبداية الحادي عشر الميلادي/الخامس الهجري) والتي تضمنتها فقرتان في الكتاب(٣٣٥).

ومما يدل على وجود النبؤات والاعتقاد فيها في العصر المقدوني ما ذكره ليوتبراند أسقف كريمونا liut prand of cremona في تقريره عن سفارته إلى نقفور فوقاس بأنه تقابل مع أحد المنجميين في القسطنطينية الذي شرح له تفصيلا هيئة الإمبراطور أوتو الكبير وعاداته حيث ذكرليوتبراند:"إذا وصفك يا

---

krumbacher, the History of Byzantine literature, p.29

(333) Genesios, on the Reigns, pp.

الذي كان مهتما بذلك Theophilis يعود الاهتمام بالنبؤات إلى عهد الأسرة العمورية وبصفة خاصة ثيوفليس.

بل أن البعض يرى أنه كان مهتما بالمعرفة من أجل التنبؤ بالمستقبل، وقد تنبأ ميشودوس بوفاه leo v ليوالخامس وميخائيل الثانيMichael II، وأيضا وفاة ثيوفليس نفسه إلا أن تنبؤه الأخير لم يكن دقيقا.

Ostrogorsky, History of Byzantine state, London, 1966, pp.561-62

(334) Leo Vl, the Homilies, p.23, Treadgold, AHistory of the Byzantine state, p.563.

Leo the Deacon, History, p.10.

أكثر الأسياد صيتاوكذلك الذين يحملون اسمك العظيم أولئك الذين ارتبطت بهم بعلاقات وتعاملت معهم آنفا الذين قام بوصفهم وكأنهم ماثلين أمامه، وما من أحد من أصدقائي أو أعدائي الذين وردوا على بالي سواء الذين ذكرتهم أم لم أذكرهم إلا وأخبرني بشكلهم وهيئتهم وطبيعة شخصياتهم ولقد تنبأ بكل الكوارث التي حدثت لي بالفعل خلال رحلتي هذه، لكني كنت أتمنى حينها أن يكون هناك شئ واحد صوابا إلا وهو أن يحدث ما تنبأ به بشأن نقفور (فوقاس) فياليت هذا الأمر يتحقق وحينئذ سأشعر بأن كل ما عانيته من مشكلات لا قيمة لها مطلقا"[٣٣٦].

وكان هذا الأمر هو"**أن الأسد وولده سوف يسحقان معا الحمار الوحشي**".

وقد فسر ليتو براند هذه المقولة بأن الأسد وولده هما الأب أوتو الأول والأبن أوتو الثاني لا يختلف عن بعضهما البعض إلا في العمر، وسيقومان بسحق الحمار الوحشي نقفور في هذه الأيام، الذي ليس من المستغرب مقارنته بالحمار الوحشي نظرا لأنه إنسان تافه لا قيمة له"[٣٣٧].

بالإضافة إلى أن التاريخ أثبت كذب هذه النبؤة لأن الإمبراطور السابق لم يتم سحقه على أيدي الألمان، ولكنه قتل بيد أحد المقربين إليه الذي أصبح فيما بعد الإمبراطور حنا تزيمسكس كما ذكرنا سابقا.

على أية حال فأن هذا التقرير قد كشف لنا عن المكانة التي حظا بها علم التنجيم والمنجمون إلى الحد الذي مكنهم من مقابة السفراء والحديث إليهم،ونظرا لأن هذا العلم مرفوضا من قبل الكنيسة[٣٣٨] لذلك قدم بسللوس ثلاثة مبررات لاهتمامه بالعلوم الغيبية والمشكوك فيها.

---

(٣٣٦) على محمد السيد، سفارة ليتو براند أسقف كرمونا إلى القسطنطينية ٩٦٨٠م"صفحة من العلاقات الدبلوماسية الألمانية البيزنطية، الاسكندرية، الدار المصرية، ص٧٣.

للمزيد عن السفارة انظر:

Liutprand Bishop of Cremona, Antapodosis in opera, ed by Becker, Leipzig, 1915

ليتو براند الكريموني:٩٢٠-٩٧٢م عمل شماسا في بلاط هيو البروفنساي الذي أرسله سفيرا لبلاط الإمبراطور قنسطنطين السابع كي يزوج ابنته بارتا إلى روما نوس الثاني ابن قنسطنطين السابع وبالفعل تمت هذه المصاهرة وبعد ما أحس ليتو براند بالغربة بسبب مادب بينه وبين أقرانه من مشاكل انتقل إلى بلاط أوتو الكبير وابنه أوتو الثاني الذي أرسله أيضا إلى القسطنطينية عام ٩٦٨م للإمبراطورنقفور فوقاس وقد سجل لنا أنباء هذه السفارة في تقريرة الذي ضمنه المحاورات التي دارت مع رجال القصر والأوضاع التي عاشها في القسطنطينية.

انظر على محمود السيد، سفارة ليتو براند، ص٨- ص١١.

(٣٣٧) على محمود السيد، السفارة، ص٦٨.

(338) Maguire, Byzantine court culture, p.146.

أولها: أنه يجب عليه تعلمها ليكون له القدرة على دحضها.

ثانيها: حبه الجارف لكل أنواع المعرفة.

ثالثها: احتياج تلاميذه وشجاعتهم التي أغرته على الأنغماس في كل هذه العلوم[٣٣٩]، والحديث عن النبؤات يقودنا للحديث عن الرؤى والأحلام التي كان لها تأثير كبير في سلوك البيزنطيين.

ومن ذلك ما ذكره باسل الأول من أنه كان يرتاح بالقرب من أحد الأديرة إذ رأى رئيس الدير الشهيد في الحلم، وطلب منه أن يخرج خارج الدير أو خارج مدخله الرئيسي، فقام الراهب بالفعل ووجد الشاب باسل ضعيفا رث الثياب فتركه، وعاد إلى داخل الدير دون إعطاءه أي شئ، فظهر له الشهيد مرة أخرى وأمره بصرامة للعودة خارج الدير وإحضار الإمبراطور باسل، فذهب إليه وادخله الدير وروى له القصة التي تذكرها باسل عندما اعتلى العرش، وأخذ يتبرع للدير بالعديد من الأموال والهدايا[٣٤٠].

ولكن علينا ألا نأخذ هذه الرواية على أنها حقيقية مسلم بها فمن المحتمل أن تكون رغبة باسل الأول في إضفاء الصبغة الشرعية والدينية على حكمة دعته إلى نسج هذه القصة كي ينل رضا الشعب خاصة وأنه تقلد العرش بعد أن اغتال سيده وصديقه الإمبراطور ميخائيل الثالث العموري عام ٨٦٧م/٢٥٣هـ.

ولأن الشعب البيزنطي كان يكن للقديسين هيبة واحتراما كبيرين، وقد أشارت سيره القديسة اثاناسيا الايجية إلى عودتها إلى وطنها بعد سبع سنوات من سفرها إلى القسطنطينية بناء على رؤية رأتها وتوفيت بعد عودتها بقليل[٣٤١].

وقد أصبحت هناك حرية في مناقشة الأحلام في النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي/الثالث الهجري، وظهرت مؤلفات عنها اشتملت على الرموز التي يراها النائم وتفسيرها على سبيل المثال كتاب الأحلام للنبي دانيال ذكر ما يقرب من أربعمائه وست وثمانون رمزا وتفسيره منها:

١- الحلم بتماثيل الرجال يدل على الأصدقاء ومحبتهم للشخص.

٢- الحلم بالصعود لمكان عالي تدل على شئ طيب.

٣- الركوب بسرعة إلى قمة على ظهر فرس تدل على أن الحالم إن كان عبدا سوف ينال حريته

(339) kaldelis, Hellenism, p.196.
(340) Genesios, on the Reigns, pp.95-96.
(341) life if st Athanasia of Aegina, p.138.

وتدل علي شئ طيب للآخرين.

٤- القفز من سفينة في اليابسة تدل على تغير مسكنه.

٥- الحلم بقطع الرأس تدل على التخلص من ظلم عظيم[٣٤٢].

وكتاب الأحلام للبطريرك نقفور بطريرك القسطنطنية.

The Dream book of Nicephorus patriarch of constantinopl.

ذكر فيه ما يقرب من مائة وثلاث وثلاثون رمزا منها:

١- أكل خبز ساخن يدل على المرض.

٢- أكل رغيف خبز أبيض حلم سعيد.

٣- الأشجار الذابلة تدل على الكدح بدون جدوى.

٤- النبيذ العكر يدل على الحزن.

٥- الحديث مع ملك يدل على أن الحالم سيظل عاطل عن العمل.

٦- الثلج في الحلم يجلب العداء مع الأعداء.

وذكر أن عدم وضوح الحلم يأتي من امتلاء المعدة بالكثير من الطعام والشراب ونصح الإنسان كي يتمكن من الرؤية بوضوح أن يكون سيد عواطفه ومعدته، وأن يترك الدموع تتساقط من عينه، وأن تكون صلاته من أعماق قلبه، وأن يرفع يديه إلى الله والسيد المسيح[٣٤٣].

وظهر أيضا كتاب الأحلام للبطريرك جيرمانوس Germanus بطريرك القسطنطينية ذكر فيه ما

---

(٣٤٢) للمزيد انظر Oberhelman, Dream books in Byzantium cornwall, Britain, 2008pp.59-115

لم يكن هناك كتاب عن الأحلام في بيزنطة منذ القرن الخامس حتى القرن التاسع وذلك لمقاومة الأحلام وعداوتها لذا اعتمدوا على كتاب الأحلام للنبي دانيال لم يكن كتابا بيزنطي ولكنه شاع استخدامه بين البيزنطيين لذا اشرنا اليه هنا والحقيقة أنه كان لدي المسلمين واليونانيين عدد من الكتب أطلقوا عليها اسم رؤى دانيالvisin of Daniel، واحتوي الكتاب علي عدد من التكهنات من خلال الرعد، الطوالع والظواهر القمرية التي تتعلق بالطب وقد ترجم النص اليوناني إلى اللاتينية في القرن السابع الميلادي في جنوب فرنسا ثم انتشر في أوروبا الغربية.

علي السيد، سفارة ليتو براند، ص٦٧.

(343) Oberhelman, Dream books, pp.117-148.

obeikandi.com

يقرب من مائتي وتسعة خمسين رمزا وتفسيره.

١- رؤية النجوم علامة جيدة جدا.

٢- النسر ملاك الله.

٣- أكل الكمثرى تدل على الفشل في تحقيق الآمال.

٤- أكل رغيف الخبز الأبيض إشارة للحظ.

٥- المشي على الفحم الحجري ينال أذى على يد أعدائه(٣٤٤).

وظهر كتاب عن الأحلام أيضا ولكن لمؤلف مجهول ذكر ما يقرب من أربعمائة وأربعين رمزا منها:

١- صعود مكان عالي على ظهر فرس يدل على حرية للعبيد وشئ طيب لشخص آخر.

٢- رؤية الشخص يحمل حيوانات(عنزات) صغيرة يعني ربحا يناله من نشطاته(٣٤٥).

وبتحليل الرموز السابقة وتفسيراتها في معظم كتب الرؤى، نجد تشابه في بعض الأحيان بين الرمز وتفسيره، مما يدل على اقتباس هذه المؤلفات من الأعمال السابقة، كما نلاحظ أن من قاموا بتأليف هذه الأعمال كانوا من رجال الدين، مما يدل على أن هذا العلم يندرج في دائرة اهتماماتهم الدينية.

ونتساءل ما رأى البيزنطيون في الرؤى وكيفية حدوثها؟ أشارت كتب الرؤى السابقة إلى أن الرؤى الحقيقية تأتي من الله وتكون رسالة منه سبحانه أو من الموتى أو الشياطين، وربما يكون نتاج الروح نفسها من خلال تأثير العواطف على الروح أو من تكرار أفكار معينة أثناء اليقظة(٣٤٦).

وكما كان للرؤى أثرا في حياة البيزنطيين اعتقدوا أيضا في المعجزات التي انتشرت في العصر المقدوني، ولم تقتصر على الطبقة الفقيرة الأمية بحكم كونها أكثر الطبقات تأثرا بهذه المعتقدات، بل وتجاوز هذا التأثير حدود العلم والثقافة والنبالة ليشمل الطبقتين الوسطي والأرستقراطية وكثيرين من متعليميها ومثقفيها(٣٤٧).

---

(344) Oberhelman, Dream books.pp153-166.
(345) Oberhelman, Dream books.pp167-193.
(346) Oberhelman, Dream books.pp93-141.

وكانت للرؤى أيضا دور في العلاج والتداوي وهذا ما سوف نوضحه في الحديث عن الطب.

انظر الفصل الثالث، ص١٣٦-١٣٨

(٣٤٧) عبد العزيز رمضان، البيزنطيون بين علاج الأطباء ومعجزات القديسين، دراسة في ضوء هجيو جرافيا العصر البيزنطي الباكر حوليه التاريخ الإسلامي والوسيط، المجلد الخامس، ٢٠٠٦-٢٠٠٧م، ص٣٣- ص٩٩- ص٦٤.

obeikandi.com

ومن المعجزات التي انتشرت في العصر المقدوني وظهرت في العديد من سير القديسات: بقاء جسد القديسة ثيودورا السالونيكية Theodra of Thessalinike سليم غير فاسد بعد سنه من دفنها، وكذلك ما ورد من تدفق الزيت من المصباح الذي كان على قبرها والذي استخدم في علاج الكثير من الأمراض[٣٤٨].

وقصة الرجل الصياد الذي أخذ شباكه لصيد السمك كعادته ولكنه فقد السمك والشباك نتيجة لموجه عنيفة بعثرتهم، وكانت خسارته ضعفين، لأنه لم يفقد السمك فحسب، ولكن فقد أدوات تجارته بالكامل، لذا تضرع للقديسة توماس الليسبوسيه Thomais of Lesbos بالدموع والنواح فظهرت له القديسة، وكشفت له عن مكان الشباك المليئة بالأسماك فذهب الصياد إلى هناك فوجد شباكه مليئة بالصيد الوفير، وعاد إلى بيته سعيدا مسرورا[٣٤٩].

وشاعت في هذا العصر معجزة القديسة ثيو كتيستي التي عاشت في جزيرة غير مأهولة حتى اكتشفها صياد زائر من ايوبيا Euboea روت له قصة حياتها، وتوفيت بعد ذلك بقليل وبدلا من أن يقوم الصياد بدفن جسدها قطع يدها للإبقاء عليها كأثر، لكن ذكر أن قوة خارقه منعته من حمل الأثر للبيت فلم يتحرك مركبه إلى إيوبيا حتى أدرك خطأه، وأرجع الأثر إلى مكانه الصحيح، وبعد ذلك أبحر هو ورفاقه بدون متاعب[٣٥٠].

وبقرائتنا لهذه القصة نستنتج أنه من الممكن أن يكون هناك مشكلة في الإبحار وهبوب عواصف تحول بينهم وبين هدفهم فالأمر قد يكون أمرا عاديا وليس معجزة كما تبين له.

وقد بلغ من شدة تقديس البيزنطيين واعتقادهم في المعجزات إلى حد الاعتماد على ذلك في الفصل في المنازعات، ومن ذلك ما حدث من نزاع على حقوق المياه وعلى طاحونة على مجرى مائي في تراقيا Thrace بين الحاكم العسكري Strategos ليو ماندالوس leo mandalis من ناحية وبين كاليوس Kallios من جهة أخرى.

وقد عرضت القضية أكثر من مرة في المحكمة قضى بادئ الأمر حكم بالملكية لأحد الطرفين ومرة أخرى حكم لصالح الطرف الآخر، وأخيرا قام قاضي تراقيا وهو جبريل تزيرثون Gabriel Tzirithon بالحكم

---

(348) life of Theodora of Thessalonike, pp.159-160.

عن المعجزات العلاجية انظر الفصل الثالث "الطب"ص١٣٦-١٣٨.

(349) life of Theodora of Thessalonike, pp.318.

(350) life of Theodora of Thessalonike, pp.95.

بتقسيم الملكية نصفين، لكن ذلك لم يرض أي من الطرفين، ومن ثم فقد استمر النزاع على الملكية لكن لم يشأ أي منها أن يعود للمحكمة مرة أخرى، ثم اتفقا على حل فريد ألا وهو أن يسألا العذراء أن تحكم في هذا الأمر وفي الفجر اجتمعوا أمام ايقونتها قي قصر بلاخيرناي Blachernai وكل طرف ممسك بالوثائق التي تدعم موقفه، ثم صلوا وبكوا وتضرعوا للسيدة مريم أن تصدر حكمها، فإذا لم يتحرك الخمار الموجود أمام الأيقونه فسيكون للرهبان حق ملكية العين محل النزاع أما إذا تحرك الخمار فإن الملكية ستؤول للحاكم العسكري Strotegos.

ولم يعلق بسللوس على هذا الأمر إلا أنه قال: أن الرهبان قد رتبوا الأمر حتى تصير النتيجة لصالحهم، فقد مر وقت طويل لم يهتز فيه الخمار، فقد أخذ الرهبان في التصفيق بأيديهم والتهليل من الفرحة والضحك، بينهما بدا الحاكم العسكري كما أنه خسر المعركة، إلا أنه في اللحظة الأخيرة ارتفع الخمار فوق الأيقونة وتعلق في الهواء.

وكرس بسللوس بقية الوثيقة لإثبات أن ذلك هو معجزة حقيقية مثل بقاء الشمس ساطعة وعدم غروبها(٣٥١).

لم يقتصر الأمر على اعتقاد البيزنطيين في المعجزات، ولكن أكدوا على وجود الشيطان وتدخله في حياة الإنسان.

وقد فطن إلى هذا الأمر المؤرخ بسللوس الذي كان يرى تدخل الشيطان في حياة الإنسان، ولكن يرد ذلك إلى أسباب طبيعية، وهذا لا ينفى وجود الشيطان وأفعاله ولكنه يضع حدوده، ويحاول شرح أسباب تدخله في حياة الإنسان(٣٥٢). ومواجهته والتغلب عليه بقوة الإيمان مثلما حدث مع لازاروس الذي ذكر مؤرخ سيرته أن الشيطان هاجمه بالعديد من الأفعال الشريرة إذ سلط علية كلاب تهاجمه، ولكن القديس كان

---

(351) Dennis, A rhetorician practices law, pp.194-195.

الأيقونة المذكورة:هي أيقونه شديدة القدسية للسيدة العذراء والمسيح طفلا في كنيسة اوفرلادي over lady "سينثا"في بلاخيرناي Blachernai، وكانت تلك الأيقونه معلقه على الحائط على الجهة اليمنى للكنيسة مواجهة الشرق، وكان هناك خمارا رقيقا مزين بصور مقدسة تم تعليقه أمام الأيقونه وكان ارتفاع الخمار قليلا في الهواء يدل على وجود السيدة مريم في مدينتها.

See Dennis, A rhetorician practices law pp.194-195

(352) Jannou, p- Demonologie populaire demonologie critique au xle siecle la vie indedit des Auxence par psellos, m wlesboden 1971, p.46

مسلحا بصلواته وأمله في الله، وحمله لكلام السيد المسيح على لسانه والصليب في يده اليمنى لذا هرب الكلاب مسرعين أمام قوة إيمانه(٣٥٣).

وكان السحر من الممارسات التي انتشرت في العصر المقدوني، وفي بعض الأحيان تعلموا القراءة والكتابة لصنع صيغ سحرية صغيرة مليئة بأسماء الملائكة وما شابه ذلك(٣٥٤).

ونستخلص مما سبق أن الدراسات اللاهوتية كانت موضع اهتمام العلماء في العصر المقدوني، وفسروا وشرحوا النظريات اللاهوتية، وحاولوا التوفيق بينهما وبين المبادئ المسيحية، ولكن هذا لا يمنع

من وجود فكر ديني آخر عند عامة الشعب تمثل في النبؤات والمعجزات والرؤى والأحلام والتي كان لها تأثير كبير على سلوكهم وأفكارهم.

وكان من بين العلوم السائدة في العصر المقدوني وحظيت بالكثير من الرعاية والاهتمام

ثالثاً: علم التاريخ:

يعتبر التاريخ من أهم العلوم لأنه يحفظ الأحداث من غياهب النسيان(٣٥٥).

وعلى الرغم من أهميته إلا أنه تعرض للإهمال في القرون السابقة للأخطار الخارجية التي تعرضت لها الإمبراطورية، وأثرت بشكل أو بآخر على مختلف النواحي، وأدت إلى توقف الكتابات التاريخية(٣٥٦).

أو بمعنى آخر أدت إلى الاقتصار على مجرد الجمع من الحوليات السابقة ولكن مع بداية القرن العاشر الميلادي/الرابع الهجري حظا علم التاريخ بعناية فائقة، وتحول التدوين التاريخي من الجمع الجاف للحوليات إلى دراسات مثمرة، وأصبحت كتابة التاريخ وتدوين أحداثه من أبرز مؤشرات تقدم الحركة الثقافية في هذا

---

(353) Life of lazaros, p.42.

وهذا يتوافق مع الآية القرآنية قال تعالي بسم الله الرحمن الرحيم" إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ(٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ"

صدق الله العظيم، سورة النحل آية(٩٩) و(١٠٠).

وامتلأت سير القديسات بالكثير من الحالات الممسوسة ونالت الشفاء على أيديهن.

عن ذلك انظر الطب، ص١٣٦-١٣٨.

(354) Browning, History language of the Byzantine Literature, in Language and Literacy in the Byzantine world, Northampton, 1989,, pp.51-55

(355) leo the Deacon, History, p.11.

(٣٥٦) البطريرك نقفور، التاريخ المختصر، ص ن.

القرن(العاشر الميلادي)، وسجل فريق من المؤرخين المشهورين أعمال الحكام السابقين عنهم والمعاصرين لهم حتى لا يطويها النسيان[٣٥٧]، ويقدموا أمثلة ونماذج للأجيال التالية كي تحاكي بعضها وتتجنب الآخر.

ويذكر ليو الشماس في افتتاحية كتابة التاريخ "أن الأعمال التي يصفها التاريخ هي أعمال نتجت عن مرور الزمن والأحداث وأفعال البشر الذين اشتركوا في الأحداث" ومن ثم فإنه يؤكد على دور الاختيار البشري في الحدث التاريخي ومن ثم على قيمة سرد وتقديم هذه الأعمال لكي نقلدها أو نتجنبها[٣٥٨].

وبناء على ذلك ظهرت العديد من المؤلفات التاريخية في العصر المقدوني التي تباينت ما بين سير الأباطرة، حوليات، تاريخ عسكري وغيرها.

ففي القرن العاشر الميلادي/الرابع الهجري ترجم الإمبراطور قنسطنطين السابع لحياة جدة باسل الأول، وقد أراد بهذا العمل الدعاية للأسرة المقدونية، ورفع شأن جده مؤسس الأسرة، والإنتقاص من شأن ميخائيل الثالث العموري لتبرير قتل الأخير على يد جده باسل الأول، كما أراد أن يقدم عرضا جيدا لسيرته من خلال إخفاء أخطائه، فصوره بصوره الرجل المثالي الذي لم يرتكب خطأ واحد، والذي يجب أن يكون أسوة حسنه لأي إمبراطور يعتلي عرش البلاد[٣٥٩].

وقد سجلت الترجمة أن باسل اصطحب معه ابنه الأكبر ووريثه قنسطنطين في حملته على الشام عام ٨٧٨م/٢٦٥هـ، لكي يعلم هذا الشاب فنون الحرب ويعوده على قيادة الحملات، وتمكنت الحملة من إخضاع المدن والحصون للسيطرة الإمبراطورية، وانتهت بالنصر الذي احتفل به باسل الأول وقنسطنطين عقب عودتهما للمدينة، وقد وصف هذا النصر في الأطروحة الثالثة عن الحملات الإمبراطورية التي أعدت حوالي عام ٩٥٨م-٩٦٥م/٣٤٧-٣٥٤هـ، وقد أظهرت المخطوطة رغبة قنسطنطين في إتباع خطوات جده عقب عودته هو وابنه من رحلته على الحدود[٣٦٠]، وتحدث عن مؤامرة حنا كورك واس John curcuas السالفة الذكر لكنه لم يذكر تاريخ المؤامرة، فقد تحدث عنها بالصدفة بعد الحديث عن وفاة اجناتيوس Ignatios

---

(357) leo the Deacon, History, p.12.
Krumbacher, the History of Byzantine literarure, p.13

ساليفان، ورثة الإمبراطورية، ص١٨١.

(358) leo the Deacon, History, p.12.

(359) See Constantini Vll, Hestoria de vita et Rebus Gestis Basilii, Genesios, on the Reigns, pp.IX-X, Vasiliev, History, vol I, p.362, Gadolin, Atheory, p.19

(٣٦٠) عن السياسة الخارجية لباسل الأول انظر:
Genesios, on the Reigns.pp.102ff, Nesbit, Byzantine, p.126.

والبطريركية الثانية لفوتيوس[٣٦١]، كما ذكر أن جده قد ولد في إحدى القرى القريبة من أدرنه في تراقيا، وأنه عرف بالمقدوني لأن بلدته كانت تتبع ثيم مقدونيا، ولكنه من أصل أرميني حيث ينسب من ناحية الأب إلى عائلة ارساكيس Arsacis ومن ناحية الأم إلى الإمبراطور قنسطنطين الأول Constantine I [٣٦٢].

وقد ألف هذا الكتاب عام ٩٥٠م/٣٣٩هـ، بعدما كلف المؤرخ جنزيوس بهذه المهمة، ومن بعده المؤرخ المجهول الذي أكمل حولية ثيوفانيس والتي عرفت بصلة ثيوفانيس، ثم قرر الإمبراطور أن يتولى هذه المهمة بنفسه، فقام بإعادة ما كتبه جنزيوس مرة ثانية ووضع مؤلفات عن سيرة جده باسل، واحتل هذا المؤلف الكتاب الخامس من المجلد المتمم لحولية ثيوفانيس[٣٦٣].

اما كتاب صلة ثيوفانيس فهو من أقرب الأعمال لقلب قنسطنطين فهو يبدأ من حيث انتهى ثيوفانيس المعترف Theophanes the confessor حيث غطت حوليته السنوات من ٨١٣-٨٦٧/١٩٨-٢٥٣هـ، ومن ثم فإن ذلك العمل قد أكمل عن قصد تأريخ حولية ثيوفانيس ومازال مؤلف العمل مجهولا إلا أنه على الأرجح قد عمل مباشره تحت إشراف فنسطنطين السابع [٣٦٤].

اتسم أسلوب المؤلف بالرقي والمزج بين العديد من المصادر الخاصة بالقرن التاسع الميلادي/الثالث الهجري ولكنه لم يحتو إلا على القليل من النقد البناء.

وعلى الرغم من أهمية الكتاب إلا أنه لم يتبق منه إلا أجزاء وهو ما يسمى بـExcerpta وهو عبارة عن مجموعة مقتطفات من أقوال المؤرخين تقدر بثلاثة وخمسين موضوعا تم تصنيفها بطريقة غير علمية، وكل موضوع هو عبارة عن كتاب قائم بذاته، وعلى الرغم من أهمية هذه المعلومات إلا أنه لم يتم تداولها إلا على نطاق ضيق في العصور البيزنطية التالية لحكمه[٣٦٥].

وبالاضافة إلى هذه الأعمال فقد دونت في هذا البلاط حولية سيمون ميتافراستيس الذي عمل لوجتيت في عهد الامبراطور قنسطنطين السابع[٣٦٦]، وبدأ الحولية بعرض تاريخي موجز عن العالم،

(361) Guilland, Titres et fonctions, p.301.
(362) Genesios, on the Reigns, pp.94-95.

(٣٦٣) طارق منصور، قطوف الفكر، جـ١، ص١٠٨.

(364) Genesios, on the Reigns, p.X.

للمزيد انظر:

The Chronicle of Theophanes, Theophanes continuatus, chrinographia in CSHB,
(365) Treadgold, A History of the Byzantine state p.564.
(366) semon metaphrastes, Rewriting and conoization, p.79.

هاني البشير، بيزنطة وبلغاريا (٦١-١٠١٨م)، القاهرة، دار النهضة، ٢٠٠١، ص٩.

وأنقسمت إلى ثلاثة أجزاء متصلة تختلف عن بعضها البعض في المضمون وطريقة العرض، أولها: تتناول فترة حكم الإمبراطوريين ميخائيل الثالث وباسل الأول[٣٦٧]، ثم تناول في الجزء الثاني حكم كلا من: الإمبراطور ليو السادس والإمبراطور الكسندر ٨٨٦-٩١٣م/٢٧٣-٣٠١هـ[٣٦٨]، أما الجزء الثالث: فقد ذكر فيه المؤرخ ملاحظاته الشخصية بوصفة شاهدا على عصره، وسرد في هذا الجزء مجموعة من الأحكام المتعلقة بشخص الإمبراطور رومانوس ليكابينوس ٩١٩-٩٤٤م/٣٠٧-٣٣٣هـ، وإنجازاته ووفاته[٣٦٩].

ويرى البعض المؤرخين أن هذه الحولية عبارة عن سيرة ذاتية للإمبراطور رومانوس نزع فيها إلى تمجيد الإمبراطور[٣٧٠].

الأمر الذي جعل البعض يتهمه بالتحيز لأسرة ليكابينوس[٣٧١]، وأطلق عليه سجل سيمون المزيفpseudo-symeon[٣٧٢]، وذلك لأنه لم يراع ترتيب الأحداث فقد ذكر أن برداس كان يلقب بقيصر قبل عام ٨٦٣م/٢٤٩هـ، والصحيح أنه لم يرق إلى هذه الوظيفة حتى عام ٨٦٤م/٢٥٠هـ[٣٧٣]، وفي قصة تتويج قنسطنطين السابع يذكر أنه توج على يد البطريرك يوثيميوس Euthymios بين فبراير ٩٠٧م/٢٩٥هـ ومايو٩١٢م/٣٠٠هـ، ولكن لا يمكن أن يقبل هذا التاريخ من سجل سيمون المشكوك فيه[٣٧٤]، ولم يعط هذا المؤلف تفاصيل كثيرة عن مؤامرة باسل الأول ضد الممثل الأخير للأسرة العمورية ميخائيل الثالث، ولم يظهر كراهية علنية تجاه حكم ميخائيل الثالث، أو مخاوف جديدة تجاه حكم المقدونيين[٣٧٥].

اللوجتيت:الوزير المالي من القرن السابع فصاعدا كان مسئولا عن تقسيم وجمع الضرائب، أشرف على قطعان البغال والخيول الرسمية، وكان مساعدا لوالي مدينة القنسطنطينية

Rosser, Historical dictionary, p347.

(367) Symeonis magistri, Annales, pp, 647-700.

(368) Symeonis, magistri, Annales, pp, 701-718.

(369) semeonis, magistri, Annales, pp, 719-760.

هاني البشير، بيزنطة، ص٩.

(370) Markopoulos, Byzantine, p.189.

(٣٧١) هاني البشير، بيزنطه، ص١٠.

(372) Markopolis, Byzantine, p.190.

للمزيد عن سجل سيمون المزيف انظر:

Pseudo-Symeon-chronographia ed Bekkr, I, CSHB Bonn, 1838

(373) Jenkins, R."symeon the"logothete" or the chronological Accuracy of the "logothete "for A.D.867-913" in studies on Byzantine History of 9th and 10th centuries pp.91-112, pp.95-96.

(374) Jenkins, The date of Constantine VII coronation, p.133.

(375) Markopoulos, Byzantine, p.190.

كما أورد معلومات عن المناورات التي قام بها الخان بوريس الأول Boris I ٨٥٢-٨٨٩م/٢٣٨-٢٧٦هـ ملك البلغار أثناء حكم الإمبراطورة ثيودورا Theodore لتحقيق بعض المكاسب على حساب الإمبراطورية، وتعرض للحديث عن اعتناق البلغار للنصرانية، ولكنه لم يذكر معركة حدثت عام٨٩٤م-٢٨١هـ وهي معركة بلغاروفيجون Bulgarophygon ربما ليخفي الهزيمة التي حاقت بالبيزنطيين، كما لم يذكر شيئا عن جهود البطريرك نيقولاس مستيكوسNicholas Mystikos أو رسائله للقيصر سيمون symeon[٣٧٦].

ويمكن أن تعود أخطائه لأنه اعتمد على ذاكرته في تسجيل الأحداث التي حدثت في عهده[٣٧٧].

ويرى بعض المؤرخين أن سيمون كان يريد فقط إظهار الحقائق وليس كتابة كل شئ[٣٧٨]، والحقيقة أن هذا ليس عذرا فذكره الأحداث لا يتنافى مع إظهار الحقائق فكان من الممكن أن يتعرض لهذه الأحداث سريعا ويركز على الحقيقة التي يريد توضيحها.

---

(٣٧٦) هاني البشير، بيزنطة، ص١٠.

بوريس البلغاري"خان البلغار اعتنق المسيحية وتم تعميدة في القنسطنطينية واتخذ اسم ميخائيل الأمر الذي دفع النبلاء في بلغاريا للقيام بثورة ضده لإعادة الوثنية تمكن من قمعها وكانت وفاته في مايو عام ٩٠٧م

See kazhdan, A. the oxford dictionary of Byzantium vol I, p.310
Rosser, Historical dictionary, p.59

تنصير البلغار: بعد اعتناق بوريس خان البلغار النصرانية تنصر البلغار ومنذ ذلك الوقت بدأ التنافس بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية وحاولت كلا منهما جذب البلغار لمذهبها ولحسم ذلك الصراع وصلت سفارة بلغارية إلى القسطنطينية وخاصة أن أمال بوريس التي عقدها على تحالفه مع روما لم يتحقق منها شئ وأن ارتباطه مع رزما لم يحركه خطوه واحده تجاه هدفه الأصيل بتأسيس كنيسة مستقلة في المملكة البلغارية ولكن روما رفضت الشخصين اللذين رشحهما بوريس لرئاسة الأبرشية التي سينشئها في بلغاريا لذا تحول إلى القسطنطينية وسمح الإمبراطور بتدشين رئيسا للأساقفة ومنذ ذلك الحين ظلت المملكة البلغارية في كنف الكنيسة البيزنطية.

للمزيد انظر محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية، ص١٣٨، اسحق عبيد، روما وبيزنطة، ص٩ وما بعدها، رستم، الروم، حـ١، ص٣٣٢ وما بعدها

معركة بلغاروفيجون:Bulgarophygon حدثت بالقرب من أدرنه بين البيزنطيون والبلغار في عهد ليو السادس وسيمون البلغاري وقد تمكن البلغار من تحقيق الانتصار على البيزنطيين، وتقرر عقد الصلح وبمقتضاه تحتم على بيزنطة أن تدفع جزية سنوية لمملكة البلغار.

للمزيد انظر العريني، الدولة البيزنطية، ص٣٢٧- ص٣٢٩.

(377) Jenkins, "symeon the logothete"p95.
(378) Browning, History language, p.120.

أما بالنسبة لأسلوبه فقد اتسم بالبساطة والوضوح[٣٧٩] وكان يقوم بتفسير وإعادة صياغة للمصادر التي يعتمد عليها، لكنه علي الأقل لا يخلط بين المصادر المختلفة[٣٨٠].

ونلاحظ أن سيمون لا يمدح الإمبراطور رومانوس فقط ولكن يمدح شخصا آخر هو الإمبراطور نقفور فوقاس الأمر الذي جعل المؤرخين يردونه إلى عهد الإمبراطور السابق أو بعد ذلك بوقت قصير[٣٨١].

وعلى الرغم من الأخطاء التي وردت في الحولية إلا أنها قدمت معلومات ثمينة عن القرن العاشر الميلادي/الرابع الهجري.

وفي أواسط القرن العاشر الميلادي/ الرابع الهجري طلب الإمبراطور قنسطنطين السابع من المؤرخ جنزيوس أن يؤلف عملا يبدأ من عهد ليو الخامس Leo V الأرميني ٨١٣-٨٢٠م/١٩٨-٢٠٥هـ[٣٨٢].

فاستجاب جنزيوس لطلبه وصنف كتابا أطلق عليه "تاريخ الملوك" بدأ بالاحداث التي تمت خلال عهد الإمبراطور ليو الخامس واختتمه بوفاة الإمبراطور باسل الأول Basil I ٨٨٦م/٢٧٣هـ وقد أهداه إلى الإمبراطور[٣٨٣].

ويقع العمل في أربعة كتب يغطي فيه الفترة من ٨١٣-٨٨٦م، ١٩٨-٢٧٣هـ[٣٨٤].

وقسمه كالتالي: الكتاب الأول عهد ليو الخامس leo v[٣٨٥]، والثاني عهد ميخائيل الثاني العموري Michael II ٨٢٠-٢٩٨م، ٥-٢-٢١٤هـ[٣٨٦]، أما الكتاب الثالث فهو عن عهد ثيوفيلس Theophilus ٨٢٩-٨٤٢م/ ٢١٤-٢٢٨هـ[٣٨٧]، أما الرابع فيختص بعهد ميخائيل الثالث III Michael ٨٤٢-٨٦٧م/٢٢٨-٢٥٣هـ، ابن ثيوفيلس وعهد باسل الأول[٣٨٨].

---

(٣٧٩)هاني البشير، بيزنطة، ص٩-٦١٠.

(380) Tread gold, A History of the Byzantine state, p. 564.

(381) Markopoulos, Byzantine, p189.

(382)Genesios, on the Reigns, p, XIV.

(383) Genesios, on the Reigns, p. IX.
Bury, A history of the Eastern Roman Empire, .p.460
أسمت غنيم، الإمبراطورية البيزنطية، ص١٥، رستم، الروم، جـ٢، ص١

(384) Genesios, on the Reigns, p.X1.
vasiliev, History of Byzantine Empire, vol I p.364

(385) Genesios, on the Reigns, p.p.5-25.

(386) Genesios, on the Reigns, po.27-43.

(387) Genesios, on the Reigns, pp.44-71.

(388) Genesios, on the Reigns, pp.71-113.

وقد وصل إلينا العمل في مخطوطة واحدة تعود للقرن الحادي عشر الميلادي/الخامس الهجري، وفي القرن الرابع عشر الميلادي/الثامن الهجري أضاف أحد الأشخاص اسم Genesios جنزيوس في هامش المخطوطه على أنه المؤلف لتلك المخطوطة(٣٨٩).

وترجع أهمية كتاب جنزيوس إلى كونه أول مصنف في تاريخ الدولة البيزنطية وضع بعد توقف في مسيرة الكتابة التاريخية البيزنطية لأكثر من مائة عام، فهو يؤرخ لفترة لم يطرقها المؤرخون إلا بعد انتهائها بأكثر من قرن من الزمان(٣٩٠).

بالإضافة إلى ما تضمنه من معلومات عن القرن التاسع الميلادي/الثالث الهجري لا نجدها في المصادر الأخرى البيزنطية أو العربية، فقدم معلومات عن زواج البيزنطيات من الأكراد الخرمية الذين هربوا إلى الأراضي البيزنطية بقيادة زعيمهم نصر الذي قال عنه أنه انتصر وسمى ثيوفوبوس، واضطهاد الإمبراطور ثيوفيل لليهود، وأفاض بمعلومات عن أعداد الجيش البيزنطي، وصهاريج المياه، ومشاركة الأباطرة في سباقات الخيل، وشاهد تعذيب الأسرى في ساحة السباق كما تطرق إلى عقوبة الزنا في القانون البيزنطي وذكر معلومات عن منع الأباطرة البيزنطيين للنبلاء من العمل في التجارة، كما تحدث عن الأصل غير النبيل للأباطرة ليو الخامس وميخائيل الثاني وباسل الأول وغيرهم(٣٩١).

وقد اعتمد جنزيوس في معلوماته التاريخية على شهود عيان من أقربائه الذين كانوا يشغلون مناصب مهمه في البلاط الإمبراطوري، كما كان هو نفسه مقربا من الإمبراطور قنسطنطين السابع، ومن ثم فقد أتيح له الإطلاع على الوثائق المهمة المحفوظة بالقصر الإمبراطوري(٣٩٢).

---

(389) Genesios, on the Reigns, p. XV.

(٣٩٠) وديع فتحي عبد الله، جوزيف جنيوس، ص٢٧٥.

(391) Genesios, on the Reigns.

للمزيد انظر:

محمد زيد، طبقة العامة، ص١٧، ص١٨.

البابكية الخرمية:نسبة إلى بابك الخرمي وهي حركة دينية سياسية تدين بالخرمية والحزمية ما هي المزدكية جديدة أي أن تعاليمها تشبة إلى حد كبير تعاليم المزدكية الإيرانية وقد ظهرت في أواخر العصر الأموي وقد تبنت الحزمية أبا مسلم الخرساني خاصة بعد وفاته واعتبرته قائد وزعيما لها.

للمزيد انظر فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية، عمان–الأردن، دار الشروق، ٢٠٠٣م، جـ١، ص٢٦٦– ص٢٧٥

(٣٩٢) اسمت غنيم، الإمبراطورية البيزنطية، ص١٥– ص١٦

وهي الدلائل التي استند عليه المؤرخون المحدثون الذين توصلوا إلى عدد من المصادر المكتوبة التي اعتمد عليها والتي منها:

حياة البطريرك نقفور Nikephoros patriarch des vita لإجناتيوس الشماس Ignatius Diaconus، وحياة البطريرك اجناتيوس Ignatios patriarch des vita، وكتاب جورج موناخوس Georgius ,Monachus وغيرها(٣٩٣).

وقد التزم جنزيوس الحياد إزاء الأشخاص الذين أرخ لهم، فيكاد الكتاب يخلو من مدح أو قدح في هذا الشخص أو ذاك ولا يجد القارئ فيه مثلا عبارات تنم عن كراهيته لواحد من الأباطرة بسبب موقفه من عبادة الأيقونات، وهو الأسلوب الشائع في كتابات مؤرخي الكنيسة من الرهبان من أمثال كدرنيوس أو صاحب صلة ثيوفان، كما كان جنزيوس أمينا في إيراد الرواية كما أوردتها المصادر التي نقل عنها، ويستدل على ذلك من إيراده للروايات المتناقصة عن الحدث الواحد فقد ذكر أن توماس السلافي (الذي قام بثورة ضد الإمبراطور ميخائيل الثاني) عريق النسب وفي موضع آخر ذكر رواية تدل على أنه"من سلالة وضعية وحقيرة"(٣٩٤).

وعلى الرغم من ذلك إلا أنه أخذ عليه الاختصار الشديد والإيجاز(٣٩٥)، كما أنه حاول في هذا الكتاب تبرئة باسل الأول من قتل ميخائيل الثالث(٣٩٦)، مما يدل على رغبته في إرضاء الإمبراطور وتزييف الحقائق في بعض الأحيان كما يؤخذ عليه إغفال بعض الوقائع التاريخية المهمة التي أثبتتها المصادر

---

(٣٩٣) وديع فتحي، جوزيف جنسيوس، ص٢٨٣-٢٨٤.

عن المؤلفات انظر:

Ignatius Diaconus, vita Nicephori patriarch, in P.G, Tom 117.
Hamartolus, Georgius monachus, chronicon in P.G.Tom CX. Paris, 1863

(٣٩٤) وديع فتحي، جوزيف جنسيوس، ص٣٣٣.

توماس السلافي:

اتفقت المصادر التاريخية على أنه نشأ في أسرة فقيرة وتزح إلى القسطنطينية طلبا للرزق ثم فر إلى بلاد الشام واعتنق الإسلام وعاش هناك خمسة وعشرين عاما أحاط نفسه بقدسية زائفة وادعى أنه قنسطنطين ابن ليو الرابع وايرين.

للمزيد انظر وديع فتحي، جوزيف جنسيوس، ص٢٩٦-٢٩٧.

(٣٩٥) طارق منصور، قطوف الفكر، جـ١، ص١٨.

(396) Genesios, on the Reigns, pp.98, ff.

للمزيد انظر ملحق رقم (١).

openkanal.com

الأخرى للفترة التي أرخ لها كعدم الإشارة إلى أول حملة أرسلها ميخائيل لاسترداد كريت والتي جعل على رأسها فوتيوس ثم إرسال داميانوس لمساعدته، وإخفاق هذه الحملة ومقتل داميانوس.

التوقف في التأريخ لحكم ميخائيل عند حملة أوريفاس لاسترداد كريت وسكوته التام عن أحداث صقلية وانشقاق حاكمها يوفيميوس Euphemios ولجوئه إلى مسلمسي أفريقيا ومساعدتهم في الاستيلاء على صقلية ثم مقتله واستقرار المسلمين في صقلية وكالابريا ومناطق بيزنطية أخرى حتى عهد باسل، ولا يوجد سبب مؤكد لتوقف جنزيوس في روايته عند حملة أوريفاس التي أوردها بإيجاز إلا أن يكون قد تأكد من عدم رضا قنسطنطين السابع عن عمله وأنه بدأ يفكر في إسناد هذه المهمة للمؤرخ المجهول صاحب تكملة أو صلة ثيوفان(٣٩٧).

وقد استمر الاهتمام بالتدوين التاريخي في القرن الحادي عشر الميلادي/الخامس الهجري، وكان أهم المؤلفات التي كتبت في هذا القرن حولية بسللوس chronographia التي تغطي الأحداث من وفاة يوحنا تزيمسكس حتي السنوات الأخيرة لحياة المؤلف عام ١٠٧٧م/٤٧٠هـ(٣٩٨)، وأرخ فيه لأربعة عشرة إمبراطورا بيزنطيا، وهو عبارة عن مذكرات فلسفية، كما يعتبر تحفة أدبية نادرة وقد ذكر قائلا:" أنت الذي ستقرأ كتابي اليوم ستجد فيه الفلسفة وبذور الحكمة التي بحثت عنها في الأراضي اليونانية والبربرية"(٣٩٩).

وقسم تاريخه الزمني إلى سبعة كتب اختصت الستة الأولى منها بالأباطرة للأسرة المقدونية بدء من باسل الثاني منذ تولية العرش عام ٩٧٦م/٣٦٦هـ، وانتهاء بثيودورا الإبنه المسنه لقنسطنطين الثامن آخر سلالة البيت المقدوني، والتي بموتها ينتهي الكتاب السادس مرورا بالأباطرة الذين إنتموا لهذه الأسرة وهم أزواج زوي الثلاثة رومانوس الثالث، ميخائيل الرابع وقنسطنطين التاسع وابنها بالتبني ميخائيل الخامس، والكتاب السادس وحده يمثل الجزء الرئيسي في هذا المؤلف بصفه عامة، إذ يحتل وحده ثلث صفحات الكتاب(٤٠٠)، وخصصه للحديث عن إمبراطوره المفضل قنسطنطين التاسع، وخلع عليه آيات التمجيد

(٣٩٧) وديع فتحي، جوزيف جنسيوس، ص٣٣٤.

(398) Vasiliev, History, vol I, p.368.
Gadolin, A theory of History, p.17
(399) kaldelis, Hellenism, p.193.
(400) psellus, chronographia, p.15.

رأفت عبد الحميد، ميخائيل بسللوس، ص٣٠١- ص٣٠٢

والإطراء بشكل لم يناله إمبراطور ممن أدوا للإمبراطورية خدمات أكثر منه بكثير[٤٠١]، وتحدث بسللوس في مجمل حديثه عن بعض المعارك الحربية، و ألقى الضوء على معركة مانزيكرت التي كان معاصرا لها وكل ما أحاط بها من أحداث سياسية، وشارك بنفسه في صنع هذه الأحداث[٤٠٢].

وما يزيد من أهمية هذا الكتاب أن مؤلفة بسللوس كان قريبا من القصر، وما يدور بداخله الأمر الذي أهله للأطلاع على أسرار الحياة السياسية داخل الدولة البيزنطية لذلك جاءت كتاباته على درجة كبيرة من الأهمية، وتميزت عن كتابات معاصريه بما وضع بسللوس يده عليه من أسرار ومعلومات لم تتح لغيره من المؤرخين المعاصرين لدرجة أنه انفراد بذكر كثير من الأحداث التي لم يعلم عنها غيره من المؤرخين شيئا[٤٠٣].

وقد أوضحت الحولية chronographia أحداث الجزء الأخير من القرن الحادي عشر الميلادي/الخامس الهجري، وألقت الضوء على العصر السابق للحملات الصليبية، ويعتبر المصدر الأكثر أهمية عن التطورات السياسية والفكرية في القرن الحادي عشر الميلادي من العصر البيزنطي[٤٠٤].

وبذكر بسللوس أن السبب وراء تأليفه هذا الكتاب أن كثيرا من معاصريه والمحيطين به طلبوا منه أن يكتب تاريخا للأحداث المعاصرة لحفظها خوفا من أن يطويها النسيان وتصبح المعلومات عن سالف الزمان غير مؤكده، ولذلك أكد لهؤلاء الصفوة أنه سيبذل ما في وسعه من جهد لعلاج هذا القصور[٤٠٥].

واتسم بسللوس بالموضوعية ووضع الحقيقةفي نصابها[٤٠٦]، وأفاض بأسلوب فنان في وصف الكنائس الفخمة التي أقيمت على عهد رومانوس الثالث وميخائيل الرابع وقنسطنطين التاسع[٤٠٧]، وصاغ بسللوس أحداث تاريخية بأسلوب جذل فخيم، وكان يتميز في الوقت ذاته بسخرية لاذعة خاصة عندما يتصل الأمر بنقده لتصرفات هذا الحاكم أو ذاك، مما أضفى على الكتاب طابعا مميزا لا يبعث في نفس قارئه أي ملل أو سأم، ولا يعيب انسياب بسللوس واتساق العرض، إلا ما كان يقدم عليه بسللوس في كثير

---

(٤٠١) رأفت عبد الحميد، ميخائيل بسللوس، ص٢٦١

(٤٠٢) أسمت غنيم، معركة مانزيكرت، ص٢٠٩

(403) Psellus, chronographia, p.15.

(404) Godolin, Atheory of History, p.17.

(405) Psellus, chronographia, pp.165-166.

رأفت عبد الحميد، بيزنطة، ص١٦٨

(406) kaldelis, Hellenism, p.205.

(٤٠٧) رأفت عبد الحميد، ميخائيل بسللوس، ص٣٠٥- ص٣٠٦

من المواضع من قطع سياق الحديث عن الوقائع التاريخية ليتناول موضوعات شخصية يرويها، وهذا ظاهر بصفه خاصة ابتداء من الكتاب الرابع، أي منذ أن أصبح بسللوس قريبا من القصر.

كما كان بسللوس ناقدا صارما ومحقا في كثير من المواقف فيما يتعلق بسياسات الأباطرة المختلفين الذين عاصرهم، بحيث لم يكد ينجو من قلمه إلا القليل، فهو يقو له أنه لعين الحق أن يقال إن السمعة التي اكتسبها باسل طيلة عهده كحاكم، قامت على الرعب أكثر منها على الولاء، ويعيب على قنسطنطين الثامن خموله ودعته وانغماسه في اللهو والعبث(٤٠٨).

ويؤخذ على بسللوس المبالغة والأسلوب الأدبي(٤٠٩)، بالإضافة لاستخدامه التورية المتعمدة في ذكر شئ وقصد معنى آخر وفي قول شئ وفعل شئ آخر(٤١٠).

ففي معرض حديثه عن المنصب الإمبراطوري ودفاعه عن مسلك الأباطرة المتقلب بصفة عامة دون تحديد لإمبراطور بعينه، وإن كان يرمي من وراء ذلك الدفاع عن قنسطنطين التاسع، يقول: "لكن الإمبراطور ذلك الرجل الذي ورث عن الله السلطة العليا"، ثم يقول عند ارتقاء قنسطنطين العاشر العرش"إن هذا الإمبراطور والحق يقال قد اختير من قبل الله"(٤١١)، ويمكن أن يرجع ذلك لعدم شعوره الكافي بالأمان كي يكشف ما بداخله(٤١٢).

ويؤخذ على المؤلف أنه أغفل بعض الأحداث في كتابه، فقد أغفل الحديث عن السياسة التعليمية والثقافية في بيزنطة خلال الفترة من ١٠٢٥-١٠٥٦م/٤١٦-٤٤٨هـ، لاسيما الفترة التي أعيد فيها تنظيم جامعة القسطنطينية على عهد الإمبراطور قنسطنطين التاسع، وإن ركز الحديث في هذه الناحية على شخصه كمفكر ومثقف وخطيب مفوه نهض بالفلسفة من كبوتها وأعاد إليها الحياة من جديد(٤١٣)، وحتى الشئون الداخلية فقد تركها وشأنها فلم يحدثنا شيئا عن الإجراءات الاقتصادية والتشريعية التي اتخذها باسل الثاني فيما يتعلق بأملاك الكنيسة والأديرة، ولا الإجراءات النقديه التي أدت إلى تخريب الاقتصاد البيزنطي على عهد قنسطنطين التاسع، ولم يسجل الأوبئة والمجاعات والزلازل التي أولاها غيره جزء من اهتمامهم(٤١٤).

---

(٤٠٨) رأفت عبد الحميد، ميخائيل بسللوس، ص٣١٩- ص٣٢٠.

(409) Nesbit, Byzantine, p.44.

(410) kaldelis, Hellenism, p.206.

(٤١١) رأفت عبد الحميد، ميخائيل بسللوس، ص٣١١- ص٣١٢.

(412) kaldelis, Hellenism, p.206.

(٤١٣) رأفت عبد الحميد، ميخائيل بسللوس، ص٢٦٧.

(414) Psellus, chronographia, p.15.

ويعلل المؤرخون ذلك بأنه تم دون عمد وبسبب النسيان[٤١٥]

والحقيقة أن طبيعة شخصية بسللوس ترجح أن يكون أغفل الحديث عن بعض الأحداث عن عمد، ومما يقوي هذا الاستنتاج ما ذكره أحد المؤرخين مع أنه أحيانا كان يعطي صورة غير صحيحة عن عصره لمشاركته في الحياة السياسية[٤١٦].

ولم يكن مهتما بالشئون الخارجية، فعلى سبيل المثال الحملات البلغارية التي قام بها باسل الثاني لم تنل حظها في كتاباته[٤١٧]، وكذلك معركة مانزيكرت، حيث أنه أورد المعركة بصوره مبتورة ومشوهة، وذكرها من قبيل السخرية بجهل الإمبراطور في الشئون العسكرية والتندر على خططه الحربية[٤١٨]، وحاول جاهدا إلقاء مسئولية الهزيمة على عاتق الإمبراطور رومانوس ديوجنيس ١٠٨٦-١٠٧١م/٤٦١-٤٦٤هـ، وحده وأخفى الكثير من الحقائق التي كانت مسئولة إلى حد كبير عن الهزيمة والتي منها:

أولاً: لم يذكر تخلي الغز عن الجيش البيزنطي وانضمامهم للأتراك السلاجقة.

ثانياً: أغفل استدعاء الإمبراطور رومانوس لفرق الجيش المحاصر لخلاط ورفض هذه الفرق الاستجابة لأوامر الإمبراطور.

ثالثا: أهم من ذلك كله إغفاله لخيانة اندرونيكوس دوقاس Andronikos Doukas وما فعله من نشر الأكاذيب المضللة والإشاعات المغرضة عن هزيمة الجيش محرضا بذلك الجند على الفرار، وانسحابه من المعركة وفراره بجنوده، ولم يكتف بسللوس بإغفاله لهذه الخيانة، وإنما راح في موضع آخر وعند سرده للأحداث التالية لهزيمة رومانوس يكيل المدح لاندرونيكوس[٤١٩].

رأفت عبد الحميد، ميخائيل بسللوس، ص٣٠٥، ص٣٠٦

(415) Gadolin, A theory of History, p.61.
(416) lemerle, le Gouvrnment, p, 243.
(417) psellus, chronographia, p.15.
Gadolin, Atheory of History, p.61

(٤١٨) رأفت عبد الحميد، ميخائيل بسللوس، ص٣٠٥
أسمت غنيم، معركة مانزيكرت، ص٢٢٩-ص٣٠٠

(٤١٩) أسمت غنيم، معركة مانزيكرت، ص٢٩٩- ص٣٠٠
الغز هم فرع من الاتراك ولفظ الغز يطلق على من يتوالد من العجم في المدن من نسائهم وقيل جنس العجم كله، وقيل التركي والتركماني والقفجق الجنس والمولد.
انظر زين الدين شمس الدين نجم، معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، القاهرة، ٢٠٠٦م/ص٣٩١

وعلى الرغم من هذه السلبيات، لكنها لا تقلل من شأن الكتاب الذي حفظ لنا جوانب كثيرة عن البلاط البيزنطي في القرن الحادي عشر الميلادي/الخامس الهجري.

ظهر في نفس القرن كتاب التاريخ Historia للمؤرخ ميخائيل اتالياتس Michael Attaleiates الذي أرخ للسنوات من عام ١٠٣٤م/٤٢٦هـ حتى عام ١٠٧٩م/٤٧٢هـ[٤٢٠]، ويعطي هذا الكتاب صورة صادقة عن الحكام المقدونيين الآواخر[٤٢١].

ويتميز هذا الكتاب بأنه يعتمد على التجربة الشخصية للمؤلف فقد كان شاهد عيان لهذه الفترة[٤٢٢].

وتحدث في هذا الكتاب عن ميخائيل الرابع Michael IV البافلاجوني[٤٢٣]، وكذلك عن ميخائيل السابع Michael Vll وانتقده هو وأستاذه بسللوس[٤٢٤]، الذي كان يرى أن أفضل إعداد للمهمة التي تنتظر ميخائيل – وهي تولي شئون الإمبراطورية– هو تدريب الصبي على البلاغة والمنطق الأمر الذي جعل أعدائه يرون فيه رجلا مغرورا، وأنه كان يرى أن قضية حكم الإمبراطورية كانت مسألة بسيطة، وهي على العكس من ذلك تماما[٤٢٥]،

خلاط: صبة ارمينية الوسطى، فيها الفواكه الكثيرة والمياه الغزيرة، ولها بحيرة ليس لها في الدنيا نظير وهي من عجائب الدنيا فإنها عشرة أشهر لا يكون فيه سمك ويظهر مدة شهرين من السنة

انظر، ياقوت الحموي:شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت الحموي، ت٦٢٦هـ، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، حـ٢، ص٤٣٥– ص٤٣٦

اندرونيكوس دوقاس:القائد العسكري المشهور الذي قام بثورة ضد ليو السادس عام ٩٠٦م، بتحريض من الخادم ساموناس الذي خدعه وجعله يعصي أوامر الإمبراطور الخاصة بالتحاقه بحمله هوميروس Homerios ضد العرب، وهرب اندرونيكوس إلى بغداد التي استقبل بها استقبالا حافلا ثم وضع في السجن وتوفى بعد ذلك

Rosser, Historical dictionary, p.124

(420) Attaleiates, . Historia.
vasiliev, History, vol I, p.371.
Rosser, Historical dictionary, p.42

طارق منصور، قطوف الفكر، جـ١، ص١٩– ص٢٠

(421) Vasiliev, History, vol I, p.371.

(422) Vasiliev, History, vol I, p.371.
Rosser, Historical dictionary, p.42

طارق منصور، قطوف الفكر، جـ١، ص١٩–ص٢٠

(423) Attaleiates, m. historia, p.8.

(424) psellus, chionographia, p.17.

(425) psellus, chionographia, p.17.
lemerle, le Gouvernment, p.240.
Gadolin, A theory of History, p.17.

وزودنا بمعلومات عن حكم زري zoe وثيودورا[٤٢٦]، كما تناول حكم الإمبراطور الكسيوس كومنيين[٤٢٧].

فهذا العمل وإن اختلف عن مثيلة في القرن العاشر الميلادي/الرابع الهجري من عدم التأريخ من بداية الخلق إلا أنه اتفق معه في الأهتمام بالتأريخ للأباطرة وتناول جزء من تاريخ الأسرة المقدونية.

ظهر في نفس القرن كتاب "مجمل التواريخ" للمؤلف يوحنا سكيليتزيس Jhon skykitzes الذي يغطي الفترة من ٨١١-١٠٥٧م/١٩٦-٤٤٩هـ[٤٢٨]، يعتبر هذا الكتاب مصدرا مهما لتاريخ الأسرة المقدونية[٤٢٩]، وبحكم منصب هذا المؤرخ وتردده على القصر أتيح له الاطلاع على وثائق مهمة دونها في تاريخه[٤٣٠].

وقسم الكتاب إلى إحدى وعشرين فصلا رتب بالعهود الإمبراطورية[٤٣١]، وقد كرس سيكليزيس أطول فصول كتابة عن باسل الثاني، لكنه في الحقيقة عالج نقطتين فقط الأولى: عن الحروب الأهلية في بداية عهدة والحملات البلغارية، أما باقي فصوله فكان يتعرض له أحيانا[٤٣٢]، وأشار إلى تمرد ميليس اوف باري males of Bari عام ١٠٠٩-١٠١٠م/٤٠٠-٤٠١هـ وحاكم ايطاليا أربع مرات فقط، وتحدث عن البطريرك سيسنيوس sisinnios بطريرك القسطنطينية المتوفى عام ٩٩٨م/٣٨٨هـ، وأطلق عليه الرجل المشهور الذي برع في فن الطب خلال فترة بطريركيته القصيرة[٤٣٣].

وقد اعتمد سكليتزس في كتابة على عدة مصادر بيزنطية كان أهمها:كتاب جنزيوس، وكتاب قنسطنطين السابع عن حياة جده باسل الأول، وكتاب المتمم لحولية ثيوفانيس، وكتاب ليو الشماس، وحولية ميخائيل بسللوس[٤٣٤].

---

(426) Attaleiates. Historia, pp.16-18.
(427) Attaleiates, m. Historia, p.8.
(428) skylitzesT.

انظر النص اليوناني Excerpta breviario Historic

ثم ترجم إلى الفرنسية skylitzes.Empereurs de Constantinople

Edwin, A History of classical scholarshop p.404
(429) vasilik, T. The illustrated chronicle of Joannes skylitzes in Madrid, 2002, p.24
(430) Edwin, A Hisroty of classical scholakhip, p.404.

أسمت غنيم، معركة ماتزيكرت، ص٢١٢

(431) Elena, N, the Art of Being Byzantine History structure and visual in Madrid. skylitzes manuscript Dissertation director, 2003, p.2
(432) Markipoulos, Byzantine, p.72.
(433) Markipoulos, Byzantine, p.137.
(434) Edwin, A History of classical scholarship, p404.

وكتب سكليتزس موجز عن تاريخ الدولة البيزنطية، وجعل الفصل الأول لحكم ميخائيل الأول Michael I ٨١١-٨١٣م/١٩٦-١٩٨هـ[٤٣٥]، والثاني ليو الخامس الأرميني ٨١٣-٨٢٠م/١٩٨-٢٠٥هـ[٤٣٦]، أما الفصل الثالث فهو لحكم ميخائيل الثاني Michael II ٨٢٠-٨٢٩م/٢٠٥-٢١٤ هـ [٤٣٧]، وشمل الفصل الرابع عهد ثيوفيلوس ٨٢٩-٨٤٢م/٢١٤-٢٨٨هـ[٤٣٨]، وجاء الفصل الخامس عن حكم ميخائيل الثالث[٤٣٩]، أما السادس فتناول حكم باسل الأول[٤٤٠]، والفصل السابع فترة حكم ليو السادس[٤٤١]، وتناول الفصل الثامن فترة وصاية الكسندر ٩١٢-٩١٣م/٣٠٠-٣٠١هـ[٤٤٢]، أما الفصل التاسع فتناول حكم قنسطنطين السابع[٤٤٣]، وتناول في الفصول الباقية عهود رومانوس الثاني ونقفور فوقاس ويوحنا تزيمسكس وقنسطنطين الثامن ورومانوس الثالث وميخائيل الرابع وميخائيل الخامس[٤٤٤]، وأنهى كتابة بالفصل الحادي والعشرين الذي خصصه لقنسطنطين التاسع[٤٤٥].

وترك لنا الراهب جورج كدرينوس Georgii cedrenus كتابا في التاريخ العام منذ بدء الخليفة وحتى عام ١٠٥٧م/٤٤٩هـ، وسار فيه على النظام الحولي[٤٤٦]، الذي كان سائدا بين المؤرخين، وقد اعتمد في تأليفه لهذا الكتاب على ما كتبه سيمون اللوجتيت، وثيوفانيس، وكتابات جورج هامارتولوس[٤٤٧]، وذلك في

---

(435) Skylitzes, Asynopsis, pp.4-14.
(436) Skylitzes, Asynopsis, pp.15-25.
(437) skylitzes, Asynopsis, pp.26-49.
(438) Skylitzes, Asynopsis, pp.51-80.
(439) Skylitzes, Asynopsis, pp.81-115.
(440) skylitzes, Asynopsis, pp.116-164.
(441) skylitzes, Asynopsis, pp.165-187.
(442) skylitzes, Asynopsis, pp.188-190.
(443) Skylitzes, Asynopsis, pp.191-205.
(444) skylitzes, Asynopsis, pp.266-396.
(445) skylitzes, Asynopsis, pp.397ff.

(٤٤٦) طارق منصور، قطوف الفكر، جـ١، ص٢٠
عن الكتاب انظر:

Cederni, J.Historum cempendium

جورج كدرنيوس: كان كاهنا او راهبا ويحملنا على ذلك أسلوبه والتفاصيل التي يذكرها عن الطقوس الدينية فهي تدل على أن كاتبها كان ينتمي إلى سلك الكهنوت، ويحتمل أن يكون شهد عصر الإمبراطور اسحق الأول كومنيين Issaac I commenos ١٠٥٧-١٠٥٩م/٤٤٩-٤٥١هـ،

هاني البشير، بيزنطة، ص١٣، طارق منصور، قطوف الفكر، جـ١، ص٢٠.

(٤٤٧) جيهان عبد المقصود، السنوات الأخيرة للأسرة المقدونية، ص(ص).

openkandil.com

الفترة الأولى الممتدة حتى عام ٨١١م/١٩٦هـ، أما الفترة التالية فاعتمد على ما كتبه يوحنا سكليتزبس، وقد شارك كدرينوس من سبقه من المؤرخين في سرد العلاقات بين البيزنطيين والبلغار حتى إذا ما حل الربع الأخير من القرن العاشر الميلادي/الربع الهجري وجدناه ينفرد بالتأريخ لهذه العلاقات، كما أدلى المؤرخ بدلوه في كثير من القضايا المتعلقة بنشأة هذه الإمبراطورية، وبالصراع بين باسل الثاني من ناحية والقيصر صمويل Samuel من ناحية أخرى وهو الصراع الذي انتهى بسقوط دولة البلغار(٤٤٨).

وتضمن الجزء الثاني معلومات تاريخية عن فتح المسلمين لجزيرة كريتcret، وعن حملات الإمبراطور ميخائيل الثانيII michael لاستردادها، وهجمات مسلمي كريت على الشواطئ والجزر البيزنطية في عهد الإمبراطور باسل المقدوني، كما تعرض للمعارك البحرية بين الأسطول الطرابلسي والأسطول البيزنطي، وتناول حملة نقفور فوقاس على كريت عام ٩٦٠م/٣٤٩هـ، وقدم معلومات عن المعارك بين الحمدانيين والبيزنطيين(٤٤٩)، وعلى الرغم من إشاراته للحملات العسكرية، إلا أننا لا نستطيع تصنيفه ضمه

جورج هامارتولوس: عاش في منتصف القرن التاسع الميلادي واسمه جورج الراهب اما هامارتولوس، فهي صفه أي المذنب كتب مدونة لتاريخ العالم تبدأ منذ عهد آدم وحتى عام ٨٤٢م وكان شاهد عيان للأحداث التي ذكرها.

للمزيد انظر chronicon (Hamartious), monachus ، البطريرك نقفور، التاريخ المختصر، ص٥٤، طارق منصور، قطوف الفكر، جـ١، ص١٦

(٤٤٨) أحمد عبد الكريم سليمان، العلاقات بين الدولة البيزنطية والقوى الإسلامية، ص٧.

(449) Edwin, AHistory of classical scholarship pp.403-404.

وهذه النسخة محفوظة الآن في بودليان في اكسفورد وفي نهايتها وجد نقش يصرح بأنها كتبت من يوحنا الخطاط لإريتاس شماس بتراس patras في شهر نوفمبر عام ٨٩٥م Edwin, AHistory, p.404

فتح كريت: كان اهتمام الأمويين بفتح القسطنطينية سببا في أن يتوجهوا بأنظارهم لفتح كريت لاتخاذها قاعدة بحرية في عملياتهم العسكرية ضد القسطنطينية وكانت المحاولة الأولى عام ٥٤هـ/٦٧٤م في عهد الخليفة الأموي معاوية ابن أبي سفيان، ولكنها فشلت وتبعتها محاولات متعددة حتى تمكن المسلمون في النهاية من فرض سيادتهم على الجزيرة لفترة امتدت لأكثر من مائه وثلاثون عاما.

أسمت غنيم، الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية، ص٤٥– ص٤٧ الحمدانيون:ينتسب الحمدانيون إلى قبيلة تغلب، وكان موطنهم في الجزيرة وديار ربيعة ثم رحلوا مع هرقل إلى بلاد الروم.

ظهرت الأسرة الحمدانية أبان ارتقاء المعتضد للخلافة ٢٧٩–٢٨٩هـ، وأراد أن يعالج الأمور والنهوض بالخلافة ولكن الوقت كان متأخر حين كان اقليم الجزيرة، يموج باضطرابات وكان القرامطة يعيثون في البلاد فسادا وفي القرن الثالث الهجري رأى الخليفة العباسي ضرورة الاستعانة بالحمدانيين ضد الخوارج فاستعان بالحسين بن حمدان بن حمدون الذي وافق بعد تردد، وهكذا انخرطت الأسرة الحمدانية في خدمة الخلافة العباسية، ولما آلت الخلافة إلى المكتفي بالله بن المعتضد عام ٢٨٩هـ استمر في ثقته في آل

التاريخ العسكري، لتأريخه منذ بدء الخليفة ولكن ظهرت في العصر المقدوني مؤلفات تناولت التاريخ العسكري للأسرة المقدونية والتي منها: كتاب "الاستيلاء على سالونيك" للمؤلف يوحنا كامنياتس أسقف سالونيك أثناء الهجوم الإسلامي عليها عام ٩٠٤م/٢٩٢هـ ترك لنا مؤلفا مهما يصف ما حل بمدينة سالونيك(٤٥٠)، وقد وقع في الأسر مع المجموعة من أفراد عائلته، لذا يعتبر مؤلفه الذي أطلق عليه "الاستيلاء على سالونيك" مصدرا مهما بوصف مؤلفه الذي كان شاهد عيان على هذه الأحداث وقد كتبت القصة في طرسوس Tarsus، حيث كان كامينياتس ينتظر تبادل الأسرى، وقد صور معاناة ألف شاب من الجنسين حبسهم في سفن شراعية، وظروف بيعهم كعبيد في كريت crete(٤٥١).

وإن كان علينا أن نأخذ كتاباته عن المسلمين بحذر شديد لأنه وقع في الأسر فمن المحتمل أن يكون قد بالغ في ذكر التفاصيل التي تصور مدى المعاناة التي عاناها أهل الجزيرة على أيديهم.

وقد عرفنا من كتابة إجراءات الدفاع التي قام بها والي المدينة والإرتباك الذي سيطر على الإمبراطور ليو السادس Leo VI كما عرفنا خط سير الحملة في أثناء رحلة العودة، ومرور الأسطول الإسلامي على الجزر التابعة لكريت، والتي توضح مدى السيطرة الإسلامية على جزر بحر ايجة(٤٥٢)، وقد تعرض لهذه الغارة كذلك عدد من المؤرخين البيزنطيين مثل صاحب صلة ثيوفانو وكدرينوس cedrenus

---

حمدان وولي أبا الهيجاء عبد الله بن حمدون الموصل عام ٢٩٣هـ/٩٠٥م في الوقت الذي أخذ سيف الدولة الحمداني يؤسس ملك بن حمدان في حلب ودخلها عام ٣٣٣هـ.

للمزيد انظر ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون ت٨٠٨م، تاريخ بن خلدون، تحقيق خليل شحاده، لبنان، دارالفكر، ٢٠٠٢م جـ٣، ص٤٤٤ وما بعدها، صابر دياب، المسلمون وجهادهم ضد الروم، القاهرة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٣٦ وما بعدها

(450) Cameniata, compendium Historiarum de Excido Thessolonice.
vasiliev, History, vol I pp.363-364

(451) Baynes, Byzantium.p, 237.

طرسوس: تقع قرب مصب نهر البرجان في البحر المتوسط وقد اشتهرت طرسوس في العصر الإسلامي لأهميتها الحربية وخصائص سكانها، وكانت أجل الثغور وهي تشرف على المدخل الجنوبي لحرب أبواب قليقية.ذكر ابن حوقل أن عليها سورين من حجارة وبها مائة الف فارس، وكان بينهما وبين حد الروم جبال منيعة متشبعة من اللكام، وهكذا كانت طرسوس حاجز بين العالمين الإسلامي والمسيحي ولها خمسة أبواب باب الجهاد، باب الشام، باب البحر، باب السدود، باب الصفصاف.

انظر صابر محمد دياب، المسلمون وجهادهم ضد الروم، ص٣٢، ص٣٥

(452) Baynes, Byzantium, p.237 vasiliev, History, vol I, p.364.

أسمت غنيم، الإمبراطورية البيزنطية، ص١٠، ص١٢٢، احمد عبد الكريم سليمان، العلاقات بين الدولة البيزنطية والقوى الإسلامية، ص غ، ص ف

غير أن إشارتهما كانت شديدة الإيجاز إذا ما قورنت بالعرض المسهب الذي قدمه يوحنا كاميناتس[٤٥٣].

وفي القرن العاشر الميلادي/الرابع الهجري أهتم المؤرخ ليو الشماس بالتأريخ للحملات العسكرية التي قام بها الإمبراطور نقفور فوقاس فترك لنا كتاب يقع في عشرة أقسام تغطي الفترة من ٩٥٩م/٣٤٨هـ إلى٩٧٦م/٣٦٦هـ[٤٥٤]، وتناول فيه حركات التمرد التي قام بها برداس سكليروس وبرداس فوقاس في ثمانينيات القرن العاشر الميلادي/الرابع الهجري حيث أن الجزء العاشر من كتابه ذكر فيه عمليات التمرد هذه وتناول فيه حكم رومانوس الثاني عام ٩٥٩-٩٦٣م/٣٤٨-٣٥٢هـ ويوحنا تزيمسكس مع مقتطفات عن حكم باسل الثاني[٤٥٥]، والأمير الروسي سفاتوسلاف svatoslav ويبدأ ليو الشماس تاريخه في الفترة التي أنهى فيها خدمته في القصر[٤٥٦]، وكان نقفور فوقاس ويوحنا تزيمسكس هما محور مدح ليو الشماس أما ما عدا ذلك فيأتي في المرتبة الثانية[٤٥٧]، وقد خصص ليو الفصلين الأوليين من مؤلفه لعرض الحملة التي قادها نقفور فوقاس ضد كريت عام ٩٦٠م/٣٤٩هـ، وكل التطورات الخاصة بهذه الحملة، حتى تم فتح الجزيرة وفرض السيادة البيزنطية عليها من جديد عام ٩٦١م/٣٥٠هـ[٤٥٨].

كما أمدنا بمعلومات وافيه عن مقارنة أهل كريت وعن المصاعب التي صادفها نقفور على أرض الجزيرة كذلك يعتبر ليو الشماس مصدرا مهما لحملات الإمبراطور يوحنا تزيمسكس على منطقة الجزيرة في أعالي العراق ويؤخذ عليه في هذه الناحية إختلاط الأمر عليه فتحدث عن الحملتين عام ٩٧٠م/٣٦٠هـ

---

(٤٥٣) أسمنت غنيم، الإمبراطورية البيزنطية، ص١٢٢،

عن كتاب صلة ثيوفانيس heophanes Continuatus Chronographia

عن كتاب كدرينوس See Georgii Cedreni, Historiarum compendium

(454) Vasiliev, History, vol I p.364.

طارق منصور، قطوف الفكر، جـ١، ص٢٨

(455) leo the Deacon, the History, pp.9-10.

(٤٥٦) مما يدل على أنه يتسم بالموضوعية لأنه لم يكن راغبا في تولي منصب أو يبحث على وظيفة في البلاط (الباحثة).

(457) markopiulis, Byzantine, pp.186-192.

سفا توسلاف: أمير كييف من ٩٤٥-٩٧٢م ابن ايجور Igor واولجا Olga بعد هزيمة خازارس kahazars وتحطيم ساركيل sarkel عام ٩٦٥م وكان مدفوع من قبل البيزنطيون لغزو بلغاريا وفعل ذلك عام ٩٦٨م خطط سفاتوسلاف كي تكون بلدته رسلا في صغر، العاصمة الجديدة لبيزنطة، وقد غزا بلغاريا عام ٩٧١م واجبر سفاتوسلاف للعودة إلى كييف وقتل في الطريق

See Rosser, Historical dictionary, p.372.

(458) leo the deacon, the History, p.2.

أسمت غنيم، الإمبراطورية البيزنطية، ص١٧

وسنة ٩٧٤م/٣٦٤هـ على أنهما حملة واحده[٤٥٩]، كما تناول الحروب البلغارية- البيزنطية على دولة بلغاريا والتي شكلت تهديدا كبيرا للإمبراطورية البيزنطية في عهد القيصر سيمون ٨٩٣-٩٢٧م/٢٨٠-٣٥٩هـ الذي أرسل بعثه استكشافيه على القسطنطينية عام ٩١٣م/٣٠١هـ وأثناء حكم بطرس بن سيمون Peter son symeon ٩٢٧-٩٦٩م/٣١٥-٣٥٩هـ وقع البيزنطيون معاهدة سلام ألزمتهم بدفع الاتاوة إلا أنه في عام ٩٦٦م/٣٥٦هـ، استشعر نقفور قوته فألغى الإتاوه وذكر ليو حادثة تآمر زوجة نقفور فوقاس على قتله بمشاركة يوحنا تزيمسكس، ثم تحدث عن مواجهته للبلغار ثم انتقل للحديث عن باسل الثاني Basil II، وعن المؤامرات الداخلية التي تعرض لها من خلال تمرد برداس سكليرس Bardas phokas بين عامي ٩٨٧-٩٨٩م/٣٧٧-٣٧٩هـ، ولم يتمكن باسل من التغلب على فوقاس إلا مساعدة القوات الروسية التي قدمت من كييف، وأشار إلى إستغلال البلغار لهذا الاضطراب الداخلي فظهر قيصر بلغاري جديد وهو صمويل ٩٨٠-١٠١٤م/٣٧٠-٤٠٥هـ الذي عزز من قبضته على بلغاريا واستولى على العديد من البلدان في شمال اليونان في ثمانينيات القرن العاشر الميلادي/الرابع الهجري، وبمجرد أن قام باسل بإنهاء التمرد الذي قام به برداس فوقاس استطاع التركيز على بلغاريا حيث شن حربا ضد صمويل لمدة عشرين عاما حتى حقق النصر عام ١٠١٨م/٤٠٩هـ[٤٦٠].

ويكاد يكون هذا الكتاب المصدر البيزنطي الوحيد الذي سجل أحداث الحرب[٤٦١]، وعلى الرغم من كون تاريخ ليو تاريخا للحملات العسكرية للأباطرة البيزنطيين، فإنه إحتوى على معلومات قيمة عن القسطنطينية والتي تشير اليها عادة بيزنطة وأيضا المدينة الإمبراطورية، ويؤكد على التحصينات القوية بها ويوضح إن نقفورفوقاس بني سورا على إحدى جوانب القصر ينحدر ناحية البحر وشيد سورا متينا عاليا يمكن رؤيته حتى عصر المؤلف وتحدث عن عدد من الكنائس في سياق حديثه عن المراسم والطقوس الإمبراطورية كما تحدث أيضا عن الكنائس كأماكن للصلاة قبل الخروج في الحملات، أما المبنى والكنيسة التي أشار إليها ليو باستمرار فهي كنيسة آيا صوفيا والتي تشير إليها على أنها الكنيسة المقدسة والمعظمة وهي المكان الذي يقصده اللاجئون للحماية فقد قصدها مرة برداس فوقاس أما ليو فوقاس فقصدها مرتين وذهب إليها نقفور فوقاس لمقابلة البطريرك بوليوكتوس polwoktos، وتم تتويجه إمبراطورا في ذات الكنيسة وهاهو يودع هناك دعائم الصليب

(459) vasiliev, History, vol I, p.364.

أحمد عبد الكريم سليمان، العلاقات بين الدولة البيزنطية والقوى الإسلامية، ص ق، ص ك.

(460) Leo the deacon, the History, pp.2-3.

(٤٦١) رأفت عبد الحميد، بيزنطة، ص٣٠٠

الذهبية التي استعادها من طرسوس، كما توج يوحنا تزيمسكس في الكنيسة، أما الكنائس الأخرى التي ذكرها ليو فهي الكنيسة الجميلة جدا، والتي بنيت على شرف العذراء في بيج pege خارج الأسوار.

وقد ذكر ليو هذه الكنيسة في سياق حديثه عن المراسم الإمبراطورية التقليدية، احتفالا بعيد الصعود، ويذكر كنيسة أم الإله the Mother of God الكائنة في القصر الإمبراطوري، وأحيانا يعطينا ليو لمحة عن حياة القصر، حيث يصف حوار ثيوفانو مع الإمبراطور في حجرة نومه، كما يصف أيضا عنايتها بالأميرات البلغاريات اللاتي تم ارسالهن إلى القسطنطينية للزواج من الأمراء الشباب باسل وقنسطنطين، ويذكر شرف القصر التي تطل على ميناء بوخوليون Boukoleon، ويشير ليو أنه سمي كذلك نسبة للتمثال الحجري الموجود بالميناء، الذي يمثل أسدا قابضا على ثور، وهي الشرفة التي عن طريقها استطاع تزيمسكس ورفاقه المتآمرون في قتل نقفور فوقاس، وذلك بعد أن تم وضعهم في سلة ثم رفعهم من تلك الشرفة[٤٦٢]، وتحدث عن الزلازل وعن نسب المسيحيين البلغار، وعادت الروس ثم ذكر بعض المعلومات الدينية، وأخرى عن "القرميد المقدس".

ويرجع ذلك لطريقته الكلاسيكية في الكتابة والتي تأثر فيها بالمؤرخين السابقين، وبصفه خاصة اجاثياس Agathaias مؤرخ القرن السادس الميلادي، على الرغم من محاولة ليو تجنب ذلك[٤٦٣].

ويعتبر هذا من المآخذ التي أخذت على ليو، بالإضافة إلى استخدامه كلمات كلاسيكية قديمة، بدلا من كلمات أحدث فمثلا يستخدم كلمة mysians للإشارة للبلغار Bolgarians وفي بعض الأحيان يشرح اللفظ القديم الذي يستخدمه باستعمال اللفظ الحديث، إلا أنه يستخدم ألفاظا حديثه بطريقة مباشرة مثل الروس، وبالإضافة إلى ذلك فإن ليو مولع بالتعليق على الشخصية وعلى وصف المظهر الخارجي للشخصيات البارزة، فهناك وصفا لنقفور فوقاس ووصفا لتزيمسكس بالإضافة إلى أنه ادعي أن نقفور هرقل الجديد[٤٦٤]، وسفاتوسلاف كل ذلك بالتفصيل[٤٦٥]، الأمر الذي جعل أحد المؤرخين المحدثين وهو أثناسيوس ماركوبولس Athanasios markopulos يرى في كتاب ليو سيطرة المثال الذكوري للقوة، وخاصة زمن الحروب والمتمثل في صورة المحارب النبيل[٤٦٦].

---

(462) Leo the deacon, the History, pp.47-49.
(463) Leo the deacon, the History, pp.15, Gadolin, Atheoty of History, p.17.
هاني البشير، بيزنطه، ص١١.
(464) Leo the deacon, the History, p.15.
(465) Leo the the History, pp.9.
(466) Leo the the History, p.13.

ويؤخذ عليه أيضا إغفاله لبعض الأحداث فلم يذكر شيئا عن سفارة كالوكير calicyre التي أرسلها الإمبراطور نقفور الثاني فوقاس إلى الروس لطلب مساعدتهم ضد البلغار، وكذلك الحال بالنسبة للهدنة التي وقعها الإمبراطور يوحنا تزيمسكس مع الأمير الروسي سفياتوسلاف عام ٩٧٠م/٣٦٠هـ، كما لم يذكر شيئا عن الخطوات التي اتخذها الإمبراطور لضم بلغاريا الشرقية عقب خروج الروس منها(٤٦٧).

وإلى جانب ذلك لم يشر ليو إلى أسماء مصادرة سواء المكتوبة أو الشفهية(٤٦٨)، غلب على اسلوب هذا المؤرخ المبالغة والتحيز ويتضح ذلك في وصفه للنصر الذي حققه الجيش البيزنطي على الروس عام ٩٧٠م/٣٦٠هـ بعد زحفهم من بلغاريا إلى داخل الإمبراطورية البيزنطية على الرغم من أن هذا النصر كان على إحدى كتائب الجيش الروسي فقط، ولم يفت في عقد الجيش الروسي وواصل زحفه داخل الأراضي البيزنطية(٤٦٩).

والحقيقة أن هذا الأمر كان شأن معظم المؤرخين، ووصفه خاصة عند التأريخ للحكام في عهدهم، حيث كانوا يبالغون في النصر ويقللون من شأن الهزيمة إن لم يغفلوها تماما.

وعلى الرغم من المآخذ السابقة، الا أن هذا الكتاب من أفضل المصادر التي كتبت عن تاريخ المعارك العسكرية في عهد بيزنطة في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي، ومن أهم أعمال المؤرخ، وتكمن أهميته في أن صاحبه مؤرخ معاصر للأحداث التي ذكرها فيذكر في نهاية الفصل الأول من الكتاب الأول أنه "سيلتزم بكتابة الأحداث التي شهدتها بعيني.... والأحداث التي تأكدت منها لشهادة شهود عيان" ومن الواضح أن ليو قد التزم بهذا الأمر فقد ذكر أنه رأى بنفسه الإمبراطور نقفور فوقاس يمتطي فرسه في القسطنطينية عام ٩٦٦م او ٩٦٧م/٣٥٦هـ أو ٣٥٧هـ، عندما كان طالبا هناك.

وفي أحيان أخرى استند في روايته للأحداث على شهادة شهود العيان ففي سبع وثلاثين موضوعا نجد ليو يستخدم عبارة "يقال" وفي خمسة عشرة حالة أخرى يستخدم "يقولون" وذلك لتقديم ما يريد من معلومات، وتباينت هذه الموضوعات ما بين أمثله عن شجاعة أحدى الشخصيات أو أخبار تتعلق بوفاة أحد أو إحصاءات عن أرض المعارك(٤٧٠)

---

(٤٦٧) هاني البشير، بيزنطة، ص١١

(468) leo the deacon, the History, p.13.

(٤٦٩) هاني البشير، بيزنطة، ص١١

(470) leo the deacon, the History, p.13.

ويمكن التوفيق بين ما ذكره ليو وبين هذا التحليل بأن ليو اعتمد على مشاهدته العينية في الأحداث الجوهرية مثل الحروب البلغارية- البيزنطية في عهد باسل الثاني حيث رافق الإمبراطور في هذه الحملة.

أما الأحداث الثانوية مثل الإحصاءات عن المعارك أو أخبار الوفاة فأعتمد فيها على مصادر أخرى.

ويوصف كتاب التاريخ لليو الشماس بأنه كتاب وسط ما بين تأريخ عالمي أو تخليدا لذكرى أحد الأباطرة(٤٧١).

وبالعرض السابق الذي تناولنا فيه علم التاريخ واهتمام أباطرة ومؤرخي العصر المقدوني بالكتابة التاريخية نستطيع أن نحدد ملامح أو سمات الكتابة التاريخية في هذه الفترة.

والتي تمثلت في:-

١. الكتابة بطريقة كلاسيكية.
٢. التاريخ الحولي الذي يتسم بالسرد.
٣. عدم مراعاة التسلسل الزمني في بعض الأحيان.
٤. التأريخ منذ بدأ الخليفة الذي كان سمة من سمات التدوين الخارجي وبصفه خاصة في القرن العاشر الميلادي/الرابع الهجري.
٥. الاعتماد على المصادر السابقة.
٦. تنظيم بعض المؤلفات على أساس الأفراد أو الشخصيات وليس التسلسل الزمني.

وقد اتضح هذا من عبارة ليو الشماس عندما ذكر أنه من الضروري أن ينهي ما يرويه عن نقفور فوقاس وعن أعماله ويبدأ في سرد أعمال يوحنا تزيمسكس(٤٧٢).

٧. البعد عن الموضوعية وبصفة خاصة عند التأريخ للحاكم في عهده.
٨. سيطرة النموذج الذكوري في التدوين التاريخي.

---

(٤٧١) هاني البشير، بيزنطة، ص١١

(472) leoThe deacon, the History, p.12.

obeikandl.com

٩. التركيز على التاريخ السياسي والحربي للأباطرة.

١٠. إغفال أخبار المعارك التي هزمت فيها الإمبراطورية.

١١. الميل للمبالغة عند الحديث عن الأعداء.

وإذا كان التاريخ من العلوم المهمة في العصر المقدوني فقد حظيت الدراسات الجغرافية ببعض الاهتمام في هذا العصر.

رابعاً: علم الجغرافيا:

لقد كانت معرفة البيزنطيين بالجغرافيا لا بأس بها(٤٧٣)، ولكن مقارنة بالأعمال الفلسفية والأدبية والتاريخية نلاحظ وجود تباين كبير بين الاهتمام بهذه العلوم وعلم الجغرافيا إلى الحد الذي يصدق عليه إهمال علم الجغرافيا والاقتصار على الاستناد على كتب السابقين والاقتباس منها(٤٧٤).

والحقيقة أن الاهتمام بعلم الجغرافيا قد توقف بعد القرن السادس الميلادي بل يمكن أن يكون قد اختفى تماما ولكن مع بداية القرن الثامن الميلادي أو التاسع الميلادي لاقت الجغرافيا بعض الاهتمام من ايبفانيوس الجغرافي حيث اهتم بالطريق من قبرص Cyprus إلى القدسJerusalem(٤٧٥).

وقد زاد الإقبال والاهتمام بالجغرافيا في القرن العاشر الميلادي/الرابع الهجري وبصفة خاصة في عهد الإمبراطور قنسطنطين السابع الذي ترك لنا كتاب حمل بعض الصيغة الجغرافية يسمى "الإدارة الإمبراطورية"(٤٧٦)، وهو كتيب إمبراطوري يقدمه قنسطنطين السابع لابنه رومانوس(٤٧٧)، وقد ذكر في مقدمة

---

(٤٧٣) رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص٢٨٦.

(474) krumabacher, the History of Byzantine literature, p.38.

(475) kazhdan, change in Byzantine culture p.151.

(٤٧٦) من الجدير بالذكر أن قنسطنطين لم يضع هذا الاسم لمؤلفه وإنما وضعه حنا ميريس john meurrius الذي نشر هذا الكتاب لأول مرة عام ١٦١١م/١٠٢٠هـ، التزم بهذه التسمية كل من تناول هذا الكتاب بعد ذلك في عام ١٦١٧م/١٠٢٦هـ، ١٧١١م/١٠٢٣هـ، ١٧٢٩م/١١٤٢هـ وفي عام ١٨٩٢م/١٣١٠هـ، قام ر.فاري R.vari وهو باحث هنغاري بنشر النص اليوناني للكتاب ثم سلم النص بدوره إلى المؤرخ ببوري، وقام الأخير بتسليمه إلى جنكينز Jenkins الذي نشر النص اليوناني مع ترجمته باللغة الإنجليزية.

انظر قنسطنطين السابع، الإدارة الإمبراطورية، ص٤٠

(٤٧٧) قنسطنطين السابع، الإدارة الإمبراطورية، ص ٤١

Andrew, Greek East and Latin west, p208

كتابه "بني لم أدرس لاستعراض الكتابة الجميلة أو الأساليب العليا الممتلئة بالرائع والنبيل، ولكني متلهف لتعليمك الأشياء التي يجب أن تكون عالما بها والتي كانت خلاصة تجارب طويلة"[٤٧٨]، مما يدل على أنه ألف هذا الكتاب ليوضح لابنه كيفية التعامل مع الشعوب المجاورة التي كان على بيزنطة أن تحتك بها دائما راضية أم كارهه لذا فهو يعتبر مرآه تعكس أسس الدبلوماسية البيزنطية في القرن العاشر الميلادي، ويدور هذا الكتاب حول عدة محاور رئيسية أولها علاقة بيزنطة بالأمم والشعوب المجاورة، وثانيها كيفية تسخير هذه الشعوب لخدمة الأغراض البيزنطية كتسليط بعضهم على بعض ثم إغداق الهدايا الثمينة عليها لكسب ودها وتحقيق مآربها وأخيرا وصف مواقعهم الجغرافية وعاداتهم والتغيرات التي طرأت على الإمبراطورية البيزنطية[٤٧٩].

وتناول هذا الكتاب الفتح الإسلامي لكريت بإيجاز، ولم يأتي في هذا الموضوع بجديد يخالف فيه المصادر البيزنطية الأخرى التي تعرضت للفتح[٤٨٠]وذكر المؤلف في هذا الكتاب أصل بعض الشعوب السلافية مثل الكروات والصرب، وأصل تسميتهم وموطنهم الأصلي، وتحدث عن فتح المسلمين ووصاياه لجنوده، كما تناول العلاقات الألمانية- البيزنطية ورؤيته للألمان والبيزنطيين[٤٨١]، وأحتوى على معلومات قيمة عن جغرافية البلدان الأجنبية[٤٨٢].

وأعتمد قنسطنطين السابع في تأليفه لهذا الكتاب على حولية المؤرخ البيزنطي ثيوفانيس

Tread gold, A History of the Byzantine state, p.564, vasiliev, History, vol I, p.302

(478) Browning, the language of Byzantine literature, pp.103-104.

أن هذا الكتاب على الرغم من أنه في الدبلوماسية إلا أنه اشتمل على جزء في الجغرافيا وهذا ما جعل الباحثة تستشهد بة في هذا الموضع. (الباحثة).

(479) Vasiliev, History of Byzantine empire, vol I pp.362-363.

رأفت عبد الحميد، قواعد الدبلوماسية البيزنطية، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثالث والثلاثون، ١٩٨٦، ص٢٩-ص٨٢-ص٤٢

(٤٨٠) منى محمود السيد البري، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية و المسلمين، صقلية وجنوب ايطاليا زمن الأسرة المقدونية٢٧٣-٤٣٢هـ/٨٨٦-١٠٤٠م، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٩٦م/ص٧-٨

(٤٨١) ليلى عبد الجواد إسماعيل، الدولة البيزنطية في عصر الإمبراطور هرقل وعلاقتها بالمسلمين، القاهرة، دار النهضة، ١٩٨٥م، ص١٥

محمد زايد، العلاقات البيزنطية الألمانية، ص٢

(482) Vasiliev, History, vol I, p

رأفت عبد الحميد، بيزنطة، ص١١٢

Theophanes ويتضح ذلك من الموضوعات السابقة لعصره، وهي الأحداث التي تتعلق بصدر الإسلام، وعصر الدولة الأموية. كما أعتمد على المصادر اليونانية عند التحدث عن لفظ ايبريا ببعض النصوص التي وردت في كتب القدماء، وأعتمد على التقارير الواردة بها لتقديم الأموال والهدايا الإمبراطورية إليهم، وبعض المعلومات الإيطالية أعتمد فيها على رجال بلاط هيو البروفنسالي Hugh of province ملك ايطاليا ٩٢٥-٩٤٧م/٣١٣-٣٣٦هـ وخليفته برنجار الثاني Berengar II ٩٥٠-٩٦١م/٣٣٩-٣٥٠هـ الذين وفدوا إلى القسطنطينية بغرض مصاهرة الإمبراطور قنسطنطين السابع.

أما المعلومات المتعلقة بألمانيا فقد حصل عليها الإمبراطور من مبعوث الملك أوتو الأول otto I وهو ليتوبراند اوف كريمونا الذي وفد إلى القسطنطينية عامي ٩٤٩م/٣٣٨هـ وعام ٩٦٨م/٣٥٨هـ[٤٨٣].

وقد وقع الإمبراطور في بعض الأخطاء منها، أنه بدلا من أن يكتب أن إقليم لمبارديا قد أصبح إقليما مستقلا على يد ليو السادس بعد أن كان تابعا لكافلونيا cephalonie كتب العكس تماما حيث ذكر أن إقليم لمبارديا أسس عام ٨٨٦-٨٩١م، ٢٧٣-٢٧٨هـ والأصح أنه في نهاية هذه الفترة[٤٨٤]، كما ذكر أن أحد الأباطرة البيزنطيين كانت زوجته خزرية، ولكن اتضح من الأحداث التي رواها عنه المؤلف أن والدته هي الخزرية وليست زوجته.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الأخطاء لم تكن متعمدة، بينما كان هناك أخطاء متعمدة منها ما ذكره من أن المؤرخ ثيوفانيس خاله[٤٨٥].

---

(٤٨٣) قنسطنطين السابع، الإدارة الإمبراطورية، ص٤٣-ص.٤٥

محمد على السيد، السفارة، ص٩

ايبريا:هي بلاد الأبخاز أو الكرج تقع في بلاد القوقاز التي توجد بها شعوب كثيرة أهمهم الأرمن وتشمل جورجيا السفوح الجنوبية لجبال القوقاز، وهي تقع ضمن دائرة البحر المتوسط الذي حماها من الشمال وينحدر نحوها البحر الأسود من الشرق إلى الغرب وهو ينفتح في شكل نصف دائرة ناحية الجنوب ويرتبط بآسيا الصغرى والشام وشمال العراق وايران.

انظر عفاف صبره، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، ١٩٨٥، ص٤٢٣.

هيوالبروفنسالي: هو الملك هيو بن ادلبرت بن لوثير الثاني أحد أحفاد شارلمان، يعرف أيضا بإسم هيو ان آرل Hugh of Arles حكم ايطاليا رسميا من ٩٢٥م إلى ٩٦٣م

قنسطنطين السابع، الإدارة الإمبراطورية، ص٩٧- ص٩٨، محمد على السيد، السفارة، ص٩.

(484) Oikonomedes, Constantine Vll porphyrogen et les themes de cephalonie, p.123.

(٤٨٥) قنسطنطين السابع، الإدارة الإمبراطورية، ص٤٩

ونلاحظ عدم التزام المؤلف بالتسلسل التاريخي في الموضوع الواحد فقد تحدث عن ثورة عبدالله بن الزبير ثم عاد فتكلم عن أحداث التحكيم بين على بن أبي طالب ومعاوية بين أبي سفيان وقد يكون عذر المؤلف أنه نقل هذا الجزء عن المؤرخ ثيوفانيس ولكن هذا يعني من جانب آخر أنه ينقل دون تمحيص ويترك الأحداث على علاتها، كما أن المؤلف كثيرا ما أورد أسماء الشخصيات ناقصة فيقول ميخائيل mechael أو ليو leo أو قنسطنطين Constantine الأمر الذي يتطلب جهد كبير من القارئ للتعرف على هذه الشخصيات، كما أن الكتاب مملوء بالأساطير التي كان المؤرخ يسوقها كأمثلة لإقناع ابنه رومانوس ببعض المفاهيم(٤٨٦).

ولكن هذا لا يقلل من أهمية العمل فالكتاب عريض في مساحته عميق في أحداثه، عاد ببعض الأحداث إلى خمسة قرون خلت من عصر المؤلف متجولا في أقاليم تمتد من بغداد عبر الجزيرة العربية ومصر إلى أسبانيا وصقلية، ومن غرب أوربا إلى شرقها مع التركيز على ايطاليا وساحل دلماشيا فالعناصر التي تقطن غربي وشمالي الإمبراطورية منتهيا في أرمينيا أضف إلى ذلك أن الكتاب أحتوى على بعض المعلومات التي تتعلق بالبحرية البيزنطية، وجانب من شئون الحكم والإدارة فالعمق الزمني كبير ومسرح الأحداث أكبر، وفي كل هذه القرون والأحداث يعرج فيه المؤلف على الأحداث التي يراها مناسبة شارحا بعض الأقاليم الجغرافية مازجا هذا وذاك ببعض الشئون الإدارية مسجلا خبراته(٤٨٧).

وإلى جانب كتاب الإدارة الإمبراطورية ترك لنا الإمبراطور قنسطنطين السابع كتاب عن الثغور (الثيمات) De thematibus الذي تم تأليفه عام ٩٣٤م/٣٢٣هـ فهو ينسخ نصوصا كانت مهملة لمدة طويلة، ويعتبرسجلا للولايات البيزنطية وحدودها وسكانها، ويأتي هذا الكتاب في مقدمة المصادر البيزنطية المهمة التي إهتمت بنظام الثغور(٤٨٨).

---

(٤٨٦) قنسطنطين السابع، الإدارة الإمبراطورية، ص٤٨

Tougher, the Reign of leo Vl, p.16

التحكيم:اللجوء إلى تحكيم كتاب الله وهذا ما فعله معاوية وفريقه يوم صفين عندما كادوا أن ينهزموا فرفعوا المصاحف فوافق على بن أبي طالب على ذلك واجتمع الحكماء أبو موسى الاشعري وخطب في الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال أيها الناس اني قد خلعت عليا ومعاوية فقام عمرو مقامة فحمد الله واثنى عليه وقال أن اثبت صاحبي (معاوية) فإنه ولي عثمان وأحق الناس بمقامة. للمزيد أنظر ابن ابن الجوزي، ابي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد، ت ٥٩٧ها المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت –لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، جـ٥، ص١٢٦ وما بعدها

(٤٨٧) قنسطنطين السابع، الإدارة الإمبراطورية، ص٥

(488) Treagold, A History of the Byzantine state, p.563.

جوزيف نسيم، تاريخ الدولة البيزنطية، الأسكندرية، دار المعرفة الجامعية١٩٩٨م، ص١٥٤، أسمت غنيم، الإمبراطورية البيزنطية، ص١٢

ويمكن القول أنه المصدر البيزنطي الوحيد الذي يتحدث عن ذلك الثيمات، وتبدأ أولى صفحاته بعبارة "الكتاب الأول عن الثيمات للإمبراطور الأكثر حكمة قنسطنطين بورفيرجنيتوس" ويعتبر هذا الكتاب أيضا هو المؤلف البيزنطي الوحيد الذي يتحدث عن الأقاليم البيزنطية وعن حدودها الجغرافية وعن قواتها العسكرية بصورة مجملة(٤٨٩)، وتحدث فيه عن إقليم كافلونيا ورافنا من خلاله أن هذا الإقليم كان يوجد في القرن التاسع الميلادي/الثالث الهجري فقد ذكر اسم قاضي أول كافلونيا الذي ذكر في السجلات عامي ٨٤٥-٨٥٦م/٢٣١-٢٤٢هـ قبل هذا أو تحديدا عام ٨٠٩م/١٩٤هـ، وعلل سبب وجود هذا الإقليم من أجل حماية الجبهة الغربية للإمبراطورية والتي كانت مهددة في ذلك العصر من عدوين هما اللمبارد والفرنجه اللذين إستوليا على معظم شبه الجزيرة الإيطالية بعد إنهيار ولاية رافنا Ravenna وثانيها الأساطيل العربية التي هاجمت العديد من الجزر البيزنطية في منتصف القرن الثامن الميلادي/الثاني الهجري من بينها كريت وصقليه، وكان الهدف من إنشاء هذا الإقليم ذو الطابع البحري المميز تكوين خط دفاع أول للغرب البلقاني، وكذلك إنشاء قاعدة للمعارك البيزنطية في ايطاليا(٤٩٠).

ويؤخذ على الإمبراطور قنسطنطين السابع أنه أغفل ذكر بعض الأقاليم، وأن معلوماته الجغرافية مشوشة إلى حد ما لاعتماده على تقسيمات جغرافية قديمة.

وعلى الرغم من المآخذ التي أخذت عليه إلا أن الكتاب غاية في الأهمية لدارس التاريخ البيزنطي، لأنه كما ذكرنا الكتاب الوحيد الذي يتحدث عن الأقاليم البيزنطية في القرن العاشر الميلادي/الرابع الهجري ويمدنا بمعلومات وفيرة عن الجغرافية التاريخية لآسيا الصغرى والبلقان حتى زمن تأليف الكتاب(٤٩١).

ومن الجدير بالذكر أنه كان هناك سجل بعنوان سجل كريستوبوليس Christopolis يرجع تاريخه إلى عام ٩٢٦م/٣١٤هـ تناول بعض الثيمات منها إقليم ستريمون strymon وقد ورد ذكر نفس الإقليم الذي يرجع للربع الثاني من القرن التاسع الميلادي/الثالث الهجري عام ٨٩٩م/٢٨٦هـ في كتاب فيلوثيوس

عن كتاب الثيمات انظر Constantini, VII, De Thematibus

(٤٨٩) طارق منصور، قطوف الفكر، جـ١، ص١١٢

(490) Oikonomides, Constantine Vll, pp.118-119.

للمزيد انظر:

Zakythinos, A "le theme de Cephalonie et la defense de I'occident"I'Hellenisme conter mporain, 1954 pp/303-312

Ostrogorsky, "Taktikon uspenskog Taktikon Benesevice zbornik Radova viz, 1953

(٤٩١) طارق منصور، قطوف الفكر، جـ١، ص١٣٧-ص١٤٢.

philotheos[٤٩٢]، الذي أرخ للسنوات الأولى من حكم ليو السادس وصدر في عهده ويعتبر هذا الكتاب المصدر الأكثر أهمية لمنظمة المدنيين الإمبراطوريين في العصور الوسطى المبكرة، وعلى الرغم من أهميته إلا أنه يعطي فقط أسماء المسئولين ولا يشير إلى وظائفهم، ويؤخذ عليه أنه لا يذكر ثيم لونجوباردیا[٤٩٣]، ونظرا لأن هذا السجل صدر في فترة مبكرة على عهد قنسطنطين السابع فمن المحتمل أن يكون الإمبراطور قد اعتمد عليه في كتابة مؤلفه عن الثغور.

على أية حال فعلى الرغم من وجود دراسات أخرى عن الثيمات إلا أن ما كتبه الإمبراطور قنسطنطين السابع هو أفضل ما ألف في هذا الموضوع.

وقد شارك الإمبراطور قنسطنطين السابع في اهتماماته الجغرافية مجموعة من المتعلمين البيزنطيين في القرون التالية فقاموا بدراسة والتعليق على الجغرافيين القدماء وقد وجدت العديد من الاقتباسات من "استرابو" strabo[٤٩٤].

مما يوضح عدم إضافة جديد إلى دراسة الجغرافية النظرية، بل اعتمدت على الأدب القديم، أدب الرحلات، القرارات والمذكرات مثل مذكرات كوسماس kosmas المسماه indikopeutes في القرن السادس الميلادي.

والحقيقة أن كثيرا من الجغرافيين السابقين طواهم النسيان إلا من استند على مؤلفاتهم في تأليف كتب جغرافية أخرى في العصر المقدوني.

وهنا نجد تباينا واضحا بين علم الجغرافيا وعلم التاريخ في هذا السياق حيث أن المؤرخين القدامى ظلوا يقرأوا وتدرس أعمالهم[٤٩٥]، كما أن الاهتمام بالجغرافيا كان ضئيلا إذا ما قورن بالتاريخ وذلك لأن الأقاليم والتضاريس ثابتة أما علم التاريخ فعلم متجدد وكل عصر يعج بالأحداث ومن هنا اكتفوا بالإطلاع على مؤلفات السابقين الجغرافية ولم يضيفوا إليها كثيرا ويمكن أن يعود ذلك أيضا إلى عدم حب البيزنطيين للمغامرة.

---

(492) lemerle, le Chateau de philippes Au temps de Nicephore phocas in le monde de Byzance Historie et Institutions, london, 1978p.106

(493) Bury the Imperial Administration pp.8-9, p.16.

(494) kazhdan, Change in Byzantine culture pp.151-152.

(495) krumbacher, the History of Byzantine literature p.38.
Rosser, Historical dictionary, p.168